بوابة إبليس

الكتاب: بوابة إبليس.

المؤلف: محمد أحمد نورالدين.

الغلاف: علي إيهاب.

رقم الإيداع: 28581

المراجعة اللغوية: مكتب مدينة الكتب للخدمات.

الإخراج الفني: دار مدينة الكتب للنشر والتوزيع والترجمة.

المدير العام: محمود عادل محمود

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز لأي صورة نشر، أو اقتباس، أو إعادة طبع أي جزء من الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو كان أو بأي طريقة سواء أكانت إلكترونية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر.

العنوان1 شارع حسن أبو زيد – الزاوية الحمراء - القاهرة

البريد الإلكتروني: Citybooks20@gmail.com

رواية

بوابة إبليس

محمد أحمد نور الدين

مقدمة

هذه الرواية ليست رواية رعب.

وأيضا.. ليست رواية جاسوسية..

و بالطبع ليست رواية بوليسية.

وليست رواية رومانسية كذلك.

وليست رواية خيال علمي.

أو رواية تاريخية.

أو واقعية.

أو أي شكل من الأشكال التي قد تتبادر إلى ذهنك.

وهي أيضاً ليست رواية مملة.

أو أتمنى ذلك.

هذه الرواية وبكل بساطة تدور حول شخص واحد بأماله وأحلامه ونجاحاته وانتكاساته.

شخص مثل جميع البشر ولكن به شيء واحد قد يكون مختلفاً.

أو لا يكون.

هذا الأمر مرهون برأيكم فيما يحدث منه وله.

هذا الشيء هو المشاكل.

إنه يجتذب المشاكل.. أو المشاكل هي التي تجتذب إليه.

هو لا يدري حقاً.

وأنا أيضا لا أدري حقاً.

إنها رواية تدور حول شخص واحد ولكن في مفرداتها قد تحوي كل الأشكال السابقة.

الجزء الأول

(١)

حالة ملل

كان مدحت فوزي من أبرز العاملين في مجاله.

كانت أعماله تخرج كقطع فنية وليست أعمالاً عادية.

كان يستطيع بأبسط الإمكانيات تكوين عملاً يكاد يقترب في جودته من الجداريات القديمة.

كان موهوباً بحق.

***

جلس مدحت في استرخاء على المقهى وأخذ يرتشف رشفات متتابعة من كوب للشاي يحمله بيديه.

كان يضم كلا راحتيه عليه وكأنه يستلهم منه شيئاً.

أخذت عيناه تتابع المارة في صمت حتى أتى مجدي رفيق صباه ورفيقه في العمل فاستقبله في لهفة قائلاً:

- خير.. هل لديك أخباراً جديدة ؟
- لا والله.. لقد غير الرجل رأيه.
- لماذا؟
- لا أدري ولكنه أخبرني أنه أجل هذا الأمر لبعض الوقت.

"ما هذا النحس الغريب الذي حط عليه في الأيام الأخيرة.."

كان مدحت يعمل مثلما لم يعمل صانع في مهنته ولمدة طويلة. حيث كان مطلوباً في شدة، وكان صيته في ذيوع. ولكن من قال أن الدنيا ثابتة علي حال واحدة.

لقد تغير الأمر من النقيض إلى النقيض بشكل يثير الريبة في النفس.

فبعد ما كان يعتبر من أسياد صنعته.. أصبح يجلس على المقهى بالأيام الطوال يكاد يستجدي العمل.

- سبحان مغير الأحوال من حال إلى حال.

قالها في هم حقيقي قبل أن يقوم من مقعده وهو يقول:

- أنا ذاهب إلى البيت.. لو جد جديد اتصل بي.

ثم سار متوجها إلى بيته.

***

جلس لبعض الوقت في البيت.. أخذ يقلب في قنوات التلفاز في ملل .

كانت القنوات من الكثرة حتى أنه كان يتيه بينها.. توقف عند إحدى القنوات وأخذ يتابعها بلا اهتمام.

ظل هكذا لبعض الوقت قبل أن يشعر بالملل فقام وتوجه نحو المطبخ وأعد كوباً من الشاي حمله إلى الصالة وجلس يتابع البرنامج الذي كان يتابعه.

كان مدحت يعيش وحيداً في شقته الواسعة التي كانت شقة العائلة في الأساس لكنه ورثها عنهم بعدما رحلوا ولم يتبقي غيره على قيد الحياة..

كان ابناً وحيداً بعدما رحل أخاه الأصغر بينما كان لا يزال صغيراً في حادث مأساوى ولم يسره هذا في أي يوم من الأيام.

قام وتوجه نحو الشرفة ووقف قليلاً يتابع المارة في الشارع الذي يقطن به.. وجد الحياة كما اعتادها.. كما جميع الأيام التي مرت قبلاً.. ما زالت هذه السيدة تتحدث مع جارتها بنفس اللهجة وتقريباً نفس الكلام بينما تضحك وتتمايل.. ومازال الشباب من جيرته وأقرانه يتعاملون بنفس الطريقة يتباهون بقوتهم عن طريق الصراخ والحركة الزائدة والتصارع فيما بينهم.

كانت الحياة كما هي.. كأنها لم تتغير إلا في عينيه وحده.

لم يستمر في تفكيره هذا كثيراً فقد عاد إلى الشقة وأغلق التلفاز وأخذ مفاتيحه وهاتفه الخاص ثم خرج.

سار قليلاً في الشوارع فكر أن يذهب إلى أحد أصدقاءه ولكنه صرف النظر عن ذلك فلم يكن في مزاج رائق وكان يفضل أن يسير وحيداً.

سار حتى وصل إلى شاطيء البحر فجلس قليلاً على أحد المقاعد تحت إحدى البرجولات الأسمنتية المطلة علي الشاطيء.. ظل هكذا وهو يتابع الشباب والفتيات المارون من أمامه.. كانوا يفسدوا لحظات التأمل التي كان يمني نفسه بها.

أخرج هاتفه النقال وطلب رقم هيام.

كانت هيام هذه هي الشيء الجميل الوحيد الذي خرج به من تعليمه في الجامعة..

زميلة الدراسة..

الجانب المشرق في حياته..

كانا قد تخرجا سويا من كلية الأداب من إثنين من الأقسام غير المطروقة للكثير منا..

كان هو قد تخرج من قسم الإجتماع..

أما هي فقد تخرجت من قسم الأثار..

تخرجا وظلا لفترة طويلة بلا عمل..

ولكن هو كان منذ الصغر يعمل في تلك المهنة التي يمتهنها الأن.. وكان لا يفكر أن يتركها لأنه كان يجد فيها لذته وذاته.

صحيح أنه فكر في الإلتحاق بوظيفة تناسب تعليمه بعدما حصل على شهادته ولكن الراتب الذى تقاضاه منها جعله يخجل من نفسه ويندم على أنه قد التحق بها من الأساس!

حيث صادف نجاحاً في أحد مرات بحثه وإلتحق بالعمل كباحث اجتماعي في إحدى الجمعيات الأهلية الشهيرة في مدينة الاسكندرية، تلك الجمعية التي دخل إليها ممنياً نفسه بالاستقرار وتحقيق المستقبل الذى يريده ويتمناه من خلالها ولكنه أكتشف بعدما نال العمل وعرف المرتب الذي سوف يتقاضاه أنه لا يوجد أمامه سبيل لفعل هذا الأمر أبدا فى ظل التسعين جنيها التي حددت له كراتب وكان يحسده عليه كثير من العاملين في الجمعية لأنه كان أعلى كثيرا مما يتقاضاه اغلبهم!.

وعلى الرغم من ذلك قبل بها ارضاءاً لوالد خطيبته إلا أن هذا الوالد بالذات هو الذي أخذ يتهكم عليه بمجرد معرفته براتبه وبنوعية العقد الذي ارتبط به بالعمل في تلك الجمعية – حيث كان عقداً تطوعياً لا يمنحه اية حقوق تقريبا – الأمر الذي جعله في النهاية يترك العمل ويعود إلى مهنته الأصلية على انتظار لظهور فرصة أفضل.

أما هيام فقد ظلت لبعض الوقت بلا عمل.. ثم عملت لبعض الوقت في إحدى المدارس وظلت فيها لمدة عام ثم تركت العمل.

ولم يكن تركها للعمل بسبب سوء منها وإنما كانت تعمل مع المدرسة بعقد لمدة عام وبعد مرور العام تم الإستغناء عن خدماتها.. هكذا وبكل بساطة تم الإستغناء عن خدماتها وكأننا لا نتحدث هنا عن رزق يتم قطعه أو مستقبل يتم غلقه في وجه صاحبه فجأة.

ظلت لفترة أخرى بلا عمل حتى وجدت عملاً في أحد مراكز الطباعة والكتابة على الكمبيوتر بمرتب هزيل.

كان مدحت لا يريد لها العمل.. كان يريد أن تجلس في بيتها معززة مكرمة وتوفر على نفسها هذا العناء وخاصة أن العمل الذي تقوم به كان يضعها مباشرة في وجه العملاء.

- إنها مهنة تعامل مع الجماهير أولاً وأخيراً.
- أتراني سوف أعمل مطربة ؟!
- لا.. ولكنك سوف تصادفين الكثير من العقبات.
- أنت لا تقدرني حق قدري.. وهذا ما لا يسرني بصراحة.
- حسنا.. ولكن لا تضغطي على نفسك كثيراً.. وضعي في إعتبارك شيئاً.. كرامتك فوق كل اعتبار.
- أنت تتعامل معي وكأني طفلة صغيرة عليك رعايتها.
- إنه الحب كما تعلمين.
- نعم إنه الحب.. كما تعلمين.

وضحكا..

كانت هذه هي المحادثة التي أجرياها حينما أخبرته بنيتها العمل في هذا المجال.. وها هي تعمل فيه منذ ثلاث سنوات وحتى الأن.

***

رن هاتفها عدة رنات قبل أن ترفع السماعة لتحادثه.. كانت هذه الرنات في قلبه كأنها موسيقي حالمة..

لم يعهد نفسه رومانسياً لهذه الدرجة.. ولكن يبدو أنه الفراغ.

- ألو..
- ألو.. هيام.. أنا مدحت.
- أهلا يا مدحت.. كيف حالك منذ يومين لم تتصل.. لعل المانع خيرا!

كانت لهجتها تحمل تقريعا خفيا ولكنه تجاوزه وهو يقول :

- لقد أوحشتني بشدة.
- آه.. يبدو هذا واضحا.. لذلك لم تفكر في الإتصال.
- أنا غير رائق هذه الأيام بصراحة.. هيام.. أريد أن أراكي.

كانت هذه هي فصل الختام منه قبل أن ينهي المكالمة.

***

بعدما خرجت من عملها في حوالي الرابعة توجهت نحو المكان المعهود والذي كان أحد المطاعم المطلة على شاطيء البحر.

كان هذا هو المكان المفضل لهما منذما تمت خطبتهما.

كانت ذاهبة إليه وهي تفكر في إصرار والدها على إطالة الخطبة لكل هذا الوقت.. فمدحت يملك شقة ويعمل في مهنة مربحة ولكن أباها يصر أن يتم الزواج علي أساس متين.

وهذا الأساس يتمثل في إكمال كل شيء من الأبرة إلى الصاروخ في هذه الشقة قبل أن يتم الزفاف.. بل يصر أن يجد مدحت لنفسه مهنة أخرى غير تلك التي يزاولها.. مهنة لها مستقبل معلوم وطريق واضح.

كان تفكير أباها يصب في مصلحتها كما يراها في النهاية – على حسب ما كان يصر دائما أن يخبرها- وكانت تعرف أنه أب يعشق ابنته ولا يريد إلا أن يراها في أحسن حال ولكنها على الرغم من ثقتها في ذلك الأمر إلا أنها كانت تراه مغاليا.. ولكنها لم تكن تستطيع أن تتحدث معه في مثل تلك الأمور.

صحيح أنها تلقت تعليماً جامعياً.. صحيح أنها تعمل في مهنة تتعامل فيها مع الناس بشكل يومي.. إلا أنها كانت في داخلها فتاة من النوع القديم.. لا نقول أنها فتاة رجعية.. وإنما كانت فتاة تقليدية تبجل أباها ولا ترفع صوتها عليه وتحترم أمها ولا تخالف لها كلمة.

هكذا تربت..

تربت على الأخلاق في زمن توارت فيه الأخلاق.. وكانت هذه الأخلاق تسبب لها مشكلات كثيرة حتى في أثناء الدراسة وفي عملها.

كانت فتاة مستقيمة أشد الاستقامة ولم تكن تدري كم هي نادرة في زمننا هذا.

حتي لقاءاتها خارج بيتها مع مدحت – وهي بالمناسبة تعد قليلة – كانت تذهب إليها وكأنها ترتكب جرماً لعدم اخبار والداها بها فى بعض الأحيان.

وكان هذا حالها حينما دخلت إلى ساحة المطعم لتجده جالساً في انتظارها..

وهذا – وإن لم تكن تدري هذا – كان يراه مدحت أجمل ما فيها.

نظرت إليه وقالت:

- ما الأمر.
- أليس من الواجب أن تلقي التحية أولا؟!
- مدحت.. أنت تعلم أنني متأخرة كما أنني لست في مزاج رائق وبالطبع لم أتي إلى هنا لكي تسخر مني فبالله عليك.. ماذا بك؟
- لا شيء.. كنت أريد أن أراكي.
- ولماذا لم تأتي إلى المنزل لتراني؟
- بصراحة يا هيام أنا ماعدت أحتمل.. لماذا لا نتزوج.. فها هي الشقة متواجدة.. كما أنني لا أرى أن الأمر كان يستدعي كل هذا التأخير.. أربع سنوات!.. أربع سنوات يا هيام !!.. لماذا كل هذا ؟
- ولماذا لا تكلم أبي في هذا؟
- ولماذا لا تكلميه أنتي؟
- أنا أكلمه.. ولكنه يصر على الانتهاء من أمر الشقة بشكل كامل.
- يمكننا أن نتزوج ثم نكمل هذا بعد الزواج.. تصوري لو كنا قد تزوجنا كما كنت أريد منذ البداية ثم أكملنا باقى الأشياء شيئا.. فشيئا.. لكان لدينا الأن طفلاً صغيراً.

أطرقت في حياء ثم قالت:

- لكل شيء وقته فلا تكن عجولاً.
- حسنا ولكني قد أتممت جانبي من الإتفاق.
- إذن الزواج عما قريب.
- أهي كلمة أكيدة.. أم تريدين تهدئتي؟
- تعالى إلى أبي وحادثه.. وأنا أتوقع خيراً بإذن الله.

هنا جاءت نغمة هادئة جذبتهما سويا.. كانت نغمة من هاتفه المحمول الذي انقض عليه كما النمر الجائع ينقض على فريسته بعد صيام طال دهرا.

إختطف الهاتف وقال :

- ألو..
- ألو مدحت.. لقد جاءنا عملاً.

كانت هذه من مجدي وما أن سمعها مدحت حتي تهلل وجهه ونظر إلى هيام وقال:

- أنتي وجه الخير في حياتي.

وكانت هذه بداية جديدة.

***

(٢)

عمل جديد

وصل مدحت إلى المقهى فوجد مجدي يجلس وبجواره رجل يبدو عليه ملامح الأهمية، كان يرتدي حلة كاملة على أبدع ما يكون وكأنه عريس متوجها إلى يوم زفافه.

بدا في شكله هذا غريباً على ما حوله.. صحيح أن المقهى لم يكن بتلك الحالة من السوء ولكن كل من كانوا يجلسون داخله كانوا يرتدون ملابس عادية لذا فقد بدا غريبا بينهم.

ولكن مدحت لم يكترث بهذا الأمر كثيراً.. فكان كل ما يفكر فيه هو العمل.. لذا فقد اقترب وألقى السلام عليهم وجلس.

لاحظ أن الرجل ينظر إليه في تمعن و كأنه يقوم بميزانه في نظره ولكنه لم يكترث لتلك النظرات فكثيراً ما صادف في عمله هذا مثل تلك الأشياء وفي الغالب تكون أفكار الرجل تتركز حول زوجة يغار عليها أو بنات يخاف عليهم من أخلاق الصانع.

أفكار غريبة جدا ولكن بعض الناس يفكر هكذا.

كان مدحت يقدر ذلك بينه وبين نفسه ففي هذه الأيام التي نعيش فيها أصبح نادراً بين الرجال من يفكر بشكل وقائي باتجاه نساءه.

لذا تجاهل نظراته تماماً وانتظره أن يتكلم.. ولكنه لم يتكلم من تكلم كان مجدي الذي قال:

- المهندس محمود.. صاحب مكتب هندسي ويملك فيلا يريد أن نعمل فيها.

فقال مدحت:

- وأنا على أتم استعداد.. ولكن أين هذه الفيلا؟

فأجاب المهندس محمود بصوت عميق وكأنه يخرج من أعماق سحيقة فبدا متنافرا مع زحام وضوضاء المكان حوله:

- إنها بحي (.....)

فقال مدحت بعد أن استوثق من موقعها بالضبط في هذا الحي :

- إنه حي هاديء.. هل هي بناء جديد.

فأجابه المهندس محمود:

- مطلقا.. إنها قديمة قدم التاريخ ذاته.

ضحك مدحت لهذه الطرفة قبل أن يقول:

- إذا تريد أن تغير الأرضيات.. هل تريد نوعاً معيناً من السيراميك.
- لا.. أنا أريد تغييراً شاملاً في كل شيء.. الأرضيات الجدران.. كل شيء.. حتى الصرف ودورات المياه.. كل شيء.

فقال مدحت في دهشة:

- إذا أنت تريد مقاولاً أو مهندساً للديكور وليس صانعاً مثلي.

فأجاب المهندس في اقتضاب:

- بل أريدك أنت.

فقال مدحت في دهشة أشد:

- ولماذا أنا بالذات؟!!

فقال المهندس:

- لقد سمعت عنك خيراً.

كاد مدحت أن يقول شيئا ولكن مجدي سبقه إلى الحديث قائلا:

- طبعا.. إن سمعة مدحت في هذا المجال كما الطبل في منطقة ساكنة.

فقال المهندس:

- نعم لقد سمعت هذا.

ولكن مدحت لم يعجبه كل هذا الحديث لذا فقد قال:

- ولكني لم أعمل في شيء متكامل كهذا قبلا.

فقال مجدي محاولا مداراة الموقف وهو ينظر إلى مدحت وكأنه يقول له.. تريث قليلا..

- لكل شيء بداية.. سنبدأ العمل من الغد بإذن الله.

ولكن المهندس محمود قال:

- يا أس... يا أستاذ مدحت.. لقد سمعت أنك متخرج من الجامعة أليس كذلك؟

فأومأ مدحت برأسه بمعني أن نعم لذا استطرد المهندس محمود قائلا:

- ومن عملت معهم قبلا شكروا أعمالك التي قمت بها بشكل لم أسمعه قبلا فمن قال أنك ساحر ومن قال أنك تعمل كأنك تعمل لنفسك وليس للأخرين وهذه أعظم شهادة أسمعها في صانع هذه الأيام.. لذا تخيرتك للعمل ولن أرضى عنك بديلا.

استفزت مدحت الكلمة الأخيرة حتى أنه كاد أن يرفض إلا أنه تذكر أنه لم يعمل منذ مدة طويلة لذا فقد قال للرجل:

- وأنا طوع أمرك.

قال المهندس محمود وقد بدا عليه السرور:

- ستبدأ من الغد إذن؟

فقال مدحت مؤكدا على كلامه:

- من الغد بإذن الله تعالى.

وكان رزقا جديدا.

***

كان مدحت متأنقا بطبعه.. لذا بدا في عيني المهندس محمود غريبا حينما جاء في الصباح التالى مصطحبا مجدي إلى موقع الفيلا.

استقبله المهندس قائلا:

- أراك لم تأتي مستعدا لكي تعمل.

فقال مدحت في دهشة واستنكار:

- من قال هذا؟!

فقال المهندس وهو يبتسم:

- ملابسك التي ترتديها.
- لا أنا أحب أن أرتدي ملابسي العادية أما في العمل فأنا أرتدي فيه ملابس أخري.

أنهي كلماته ثم دار بعينيه في المكان فهاله مدى اتساعه.. كانت فيلا مكونة من طابقين واسعة جدا حتى أنه قدر مساحتها بما يزيد عن ألف متر على الأقل فإذا ما حسبنا أنها طابقين لكانت المساحة مهولة "إن

هذا عملاً مهولاً وربما تخرج منه برزقاً وفيراً" قالها في نفسه قبل أن يقول للرجل:

- قلت لي أنك تريد أعمالا شاملة.. فهل توضح ما تريد بالضبط؟

فقال الرجل:

- أريد أن تغير الأرضيات وأن تعيد كسو الحوائط بالأسمنت ثم الدهان بالطبع وأيضا تغيير النوافذ الخشبية وتركيب أخرى من الألومنيوم مكانها.. كذلك تركيب مظلات فوق الشرف كما أني أريد بناء حائط في غرفة من الغرف يقوم بقسمتها وصب سقف في غرفة أخرى .. و ..و ..

أخذ الرجل يعدد ما يريده وهو يدور معهما في أنحاء الفيلا.. وكلما استرسل الرجل كان مدحت يشعر بدهشته تتعاظم "إنه عمل ضخم.. هل نستطيع أن ننجزه؟" كان لا يدري حقا.. ولكنه عندما كان ينظر إلى مجدي كان يراه مبتهجا الأمر الذي كان يمنحه بعض الثقة.

بعد أن أنهى الرجل كلامه اصطحبهما إلى غرفة واسعة بها أثاث راقي جداً.. وإن كان ينتمي إلى بداية القرن العشرين.. تخيرا مقعدين وجلسا والرجل يقول:

- حسنا ما رأيكما؟

فقال مجدي مندفعا:

- نقبل بالطبع.

ولكن مدحت كان أكثر منه تريثا.. لذا فقد قال:

- أصبر قليلا يا مجدي.. ومعذرة يا سيدي.. إن هذه الفيلا بها عمل يحتاج إلى جيش من العاملين ولا أظن أننا نستطيع حمل تبعات كل هذا الأن.. يمكن أن نتولي أمر الأرضيات.. نعم.. ولكن غير ذلك.. لا أظن.

نظر له الرجل في دهشة ثم قال:

- أنت أول صانع أراه يرفض عملاً بهذا الشكل.

فقال مدحت على الفور:

- رحم الله امرؤ عرف قدر نفسه.. فأنا من الممكن أن أوافق ولكن عند التنفيذ تظهر عقبات تؤدي إلى عدم اتقان العمل وأنا لا أرضى ذلك علي نفسي.
- وهذا ما يجعلني أصر عليك.

كانت هذه من المهندس محمود وما أن قالها حتى نظر مدحت إلى مجدي في دهشة واشترك الإثنان في فكرة واحدة..

"إن هذا الرجل به لوثة بالتأكيد.."

لذا فقد قال مدحت:

- يا سيدي....

ولكنه لم يتركه يكمل كلامه.. إذ قاطعه قائلا:

- يا مدحت أنا أساعدك لأني أقدر المواهب وأقدر من يتقن عمله لذا عليك أنت وضع الخطط وأنا عليّ مدك بالعمال.. لا تفكر كثيرا.. وما لا تفهم فيه.. نأتي بأخرين ينجزونه.

فقال مدحت بعد أن تفكر قليلا:

- أنا لدي أفكار في كل تلك الجوانب.. إذ أني عملت فيها جميعا قبل أن أستقر على العمل الخاص بالأرضيات ولكني لم أمارس عملا شاملا كهذا قبلا.
- ولما التردد.. لكل شيء بداية.

كانت هذه من الرجل وما كان من مدحت ومجدي إلا الموافقة.

لذا فقد جلسا مع الرجل واتفقا علي بضعة أمور على أن يبدءا العمل حين إكمالها..

وكان هذا لهما.

***

(٣)

بداية الطريق

مر أسبوع ونصف بعد الأحداث السابقة وكانت الفيلا قد تحولت في هذه الأيام العشرة إلى خلية نحل.

وفي أحد أركان الفيلا الشاسعة جلس مدحت ومجدي يتابعان العمل.. كانا لأول مرة يعملان كمشرفي عمال لذا فقد شعرا بشعور غريب حتى أن مجدي قال:

- إن الأمر ممتع بالفعل.. تجلس ولا تفعل شيئاً إلا المتابعة وتقبض أضعاف ما يأخذه العاملون.
- ولكن المسئولية تقع على عاتقك في النهاية.

كانت هذه من مدحت الذي لم يشعر مثلما يشعر مجدي وإنما شعر بغرابة في هذا الأمر لذا نظر له مجدي في دهشة قبل أن يقول:

- أنت متشائم جدا يا مدحت.. حتى يكون عندك علم.
- ولماذا تقول ذلك؟

- لأنك لا تري روعة ما نحن فيه.. ألا تري ما أراه؟.. نجلس علي أقصي راحتنا نحتسي الشاي والقهوة ونقرأ الصحف ثم نقوم نصرخ في العمال ونعدل في الأعمال.. ألا يروق لك كل هذا؟
- ولكني أشعر بشيء غريب في هذا كله.. إذ لما اختارنا نحن بالذات؟ ولماذا قطع كل هذه المسافة؟ فمنطقة العمل على أطراف البلد من جهة ونحن نسكن قرب أحد أطرافها من الجهة المقابلة.
- وماذا في هذا؟ ألم يخبرك أنه أتي إليك لأنه سمع عنك أخبارا جيدة؟ كما أننا عملنا في هذه المنطقة قبلا.
- نعم ولكن ليس عملا بهذه الضخامة.
- أنت تفكر كثيرا.

قال مجدي ذلك ثم تركه وأخذ يمر على العمال ويتابع مجرى العمل.. جلس بعدها مدحت لفترة قصيرة ثم قام بدوره ليتابع ما يدور حوله إلى أن سمع صرخة تأتي من الطابق العلوي تلك الصرخة التي ما أن سمعها حتى هرول صاعداً على الدرج يتبعه العديد من العمال حتى صعدوا إلى الطابق العلوي.

كان كل خوفه أن يكون أحد العمال أثناء عمليات التكسير قد طرق على أحد التوصيلات الكهربية المدفونة بالجدران أو يكون أحدهم قد سقط من على الحامل الذي يقف عليه.

ولكنه عندما وصل لم يجد هذا أو ذاك أو أي شيء أخر كان من الممكن أن يخطر بباله.. لقد وجد عاملا يجلس في أحد أركان الغرفة يبدو عليه الذهول وعاملا أخر يحمل كوبا من الماء ويقف بجواره.

- ماذا حدث؟

قالها مدحت صارخا.. فأجابه العامل الذي يحمل كوب الماء في هلع:

- أشياء غريبة تحدث.. لقد قلت من أول يوم ولكن أحدا لم يصدقني.. حسنا فلتروا بأعينكم علكم تصدقون!

لم يفهم مدحت أو أحدا من الواقفين شيئا.. لذا فقد قال مدحت:

- ماذا حدث؟.. إهدأ هكذا.. واخبرني.

ولكن الرجل لم يهدأ بل استمر يقول:

- إنها فيلا ملعونة.. من الواضح أنها ملعونة ولكنكم لا تريدون أن تصدقوا.

ثم وضع الكوب الذي يحمله على الأرض وأخذ يهرول خارجا.. ليس من الغرفة فقط بل من المكان كله وسط ذهول الواقفين.. فاتجهت الأنظار كلها إلى العامل الذي يجلس على الأرض الذي كان ينظر إليهم بدوره في ذهول.. فاقترب مدحت منه وحاول أن يقيمه إلا أن مجدي أمسك يده وسحبه بعيدا.. فنظر له مدحت في دهشة وقال:

- لماذا فعلت ذلك؟!
- أتركه إنه لن يجيب علي شيء.. إنه يبدو في حالة صدمة.
- أنتركه هكذا إذن؟
- لا.

ثم إلتفت مجدي إلى أحد العاملين وقال له:

- أتعرف مكان بيته؟

هنا تطوع أحد العاملين وقال:

- أنا أعرف بيته.

وانبرى أخر قائلا:

- وأنا أيضا.

فنظر لهما مجدي في عدم إكتراث وهو يقول:

- إذن خذاه إلى بيته وإجعلاه يستريح.

ثم أشار إلى بقية العمال بالإنصراف إلى أعمالهم ومدحت ينظر إليه في دهشة.

انصرف العمال وهم يتمتمون بكلمات غير مفهومة تجسدت على هيئة كلام أخذوا يتحدثونه وهم يزاولون أعمالهم

- ماذا حدث بالضبط؟
- لماذا غادر الأخر الفيلا؟

كانت هذه هي الأسئلة التي دارت فيما بينهم وإن لم تجد من أحدهم إجابة.

***

جلس مدحت على مقعده وهو في حالة ذهول..

- ما هذا الذي حدث بالضبط؟!!

فقال له مجدي وهو في ذهول لا يقل عن ذهوله وإن كان يبدو أكثر تماسكا:

- سوف نعرف.. ولكن المهم ألا يتوقف العمل.
- أسمعته وهو يقول أن هذه الفيلا ملعونة؟
- ملعونة أو غير ملعونة.. إن هذا لا يعنينا في شيء.. كل ما يعنينا ها هنا هو العمل.. ننجزه.. ونمضي في حال سبيلنا.. يظهر بعدها أن الفيلا.. مسكونة.. ملعونة.. مطعونة.. لا يعنينا في شيء.

كان مجدي مختلفاً تمام الإختلاف عن مدحت..

كان شخصاً عقلانياً من الطراز الأول يعرف هدفه جيداً من كل أمر يسير فيه وهو في هذا يتفوق على مدحت الذي يتعامل مع العمال بشكل أكثر تهاونا ربما لإحساسه أنه ما زال عاملاً وأن هذا الأمر طاريء عليه بينما كان مجدي ينظر إلى العمل كعمل ولا شيء سوي ذلك.

يمكننا أن نقول أن مجدي يبرع عن مدحت في النواحي الإدارية بينما مدحت يتفوق على مجدي في النواحي الفنية في العمل.. ولكنهما معا يكونان ثنائيا متكاملا.

قال مدحت:

- يجب أن نذهب إلى العامل لنعرف ماذا حدث له.
- بعد أن ننهي العمل اليوم إن شاء الله.

ما أن أنهي مجدي جملته.. حتى رأى شيئا غريبا..

كان العمال يتركون العمل واحداً تلو الأخر ويذهبون نحو نقطة بعينها في أقصى الفيلا..

كان مدحت ومجدي يجلسان بالقرب من بداية الفيلا بجوار الباب لذا لم يلمحا من مكانهما هذا ما الذي يجذب نظر العمال هكذا ويجذبهم نحوه.

لذا فقد هرولا نحو العمال حتى وصلا لنقطة التجمع.. فكر مجدي أن ينهر العمال ليعودوا إلى أعمالهم إلا أن مدحت – الذي قرأ هذا في وجهه – أمسكه من يده وضغط عليها ليتريث قليلاً حتى يستطيع أن يعرف ماذا يجري بالضبط.

كان العمال كلهم بلا استثناء ينظرون نحو نقطة بعينها.. نحو بقعة حمراء في سقف الغرفة تتساقط منها نقاط متتالية من سائل ما أحمر اللون.

- إنه دم!

قالها أحد الواقفين فارتعد الباقون وأخذت الكلمات تتهاوي من ألسنتهم كما تتهاوي القنابل..

- دم؟!!!!
- وكيف يسقط الدم من سقف الغرفة؟
- هناك قتيل بالطابق العلوي.. بالتأكيد هناك قتيل!
- ربما كان يسكن هذه الفيلا سفاح!

- إنه دم!.. لا شك أنه دم!.. هيا بنا إلى الخارج.

وبمجرد ما سمع العمال كلمة الخارج حتي تدافعوا مهرولين إلى الخارج.. ولكن في هذه المرة الذي أوقفهم كان مدحت.. إذ صرخ فيهم قائلا:

- توقفوا.. ماذا بكم؟
- ألا ترى ماذا بنا؟.. ألا ترى؟

كانت هذه من أحد العمال فقال له مدحت بصوت هادر:

- ما الذي أراه؟.. إنه تسريب من الطابق العلوي.. ما الذي أدخل في رأسكم أنه دم؟!.. لسوف أصعد الأن لأرى ما هو.

وقرن قوله بالفعل وتوجه نحو الطابق العلوي يتبعه مجدي وبعض العمال.

أما بقية العمال فقد ثبتوا في أماكنهم في انتظار ما سوف تسفر عنه هذه الأحداث.

أخذ مدحت يصعد الدرجات في سرعة حتى وصل إلى الطابق العلوي ثم توجه إلى حاجز السلم وأخذ ينظر إلى النقطة التي يأتي منها التسريب ليحدد مكانه بالضبط في الطابق العلوي ثم توجه بالضبط إلى المكان المقصود.

كانت غرفة فسيحة تحوي مكتبة ضخمة لم يري مثلها يوما.. تحوي الألاف من الكتب فقال وهو يدخل الغرفة:

- لماذا لم نقوم بنقل هذه المكتبة إلى الأن؟

- أي مكتبة؟ إني لم أرى هذه المكتبة قبلا!

قالها مجدي وهو يلج إلى الحجرة خلفه فقال مدحت في دهشة:

- كيف هذا؟!!
- هل رأيتها أنت؟

سأله مجدي في نوع من التوبيخ فحاول مدحت أن يتذكر إلا أنه هو الأخر لم يتذكر أنه رأى هذه الغرفة قبلا.. "ولكن ماذا؟.. هل نبتت الغرفة من العدم؟.. بالتأكيد كانت موجودة ولكن مع حجم الفيلا غابت عنهم هذه الغرفة فلم يتذكراها".. هكذا فكر وهو يلج إليها وينظر بتمعن في أرضيتها.. كانت الأرضية عارية من الأثاث ومن الفرش لأنه تم نقل جميع الأثاثات والمفروشات قبل بدء العمل إلى خارج الفيلا.. ولكن كيف تركوا الكتب؟.. هذا ما لم يجد له مدحت تفسيراً.. ولكنه لم يتوقف عند هذا الأمر كثيراً.. لقد أخذ يبحث ويدقق النظر في أرضية الغرفة محاولا أن يجد سببا لهذا التسريب الغريب الذي رأه الجميع بالأسفل.. أخذ يبحث ويبحث ولكنه لم يجد شيئا.. كل شيء كان علي ما يرام!

كانت أرضية الغرفة مغطاة بالخشب المصقول (باركيه) لذا فقد فكر أن سبب هذا التسريب ربما كان أسفل الأخشاب.. لذا قام وأمر أحد العمال بإحضار أدوات لخلع الخشب من الأرضية ولكن مجدي منعه من هذا قائلا:

- لم يحن وقت العمل في الأرضيات بعد!

فقال مدحت:

- إننا لن نعمل فيها وإنما سوف نعمل في هذه الحجرة فقط حتي نري سبب التسريب.

ولكن مجدي أصر على موقفه قائلا:

- من الواضح أنه لا يوجد شيء.. لا يوجد شيء.

فتساءل مدحت في دهشة:

- والتسريب؟

- لنهبط إلى الأسفل قبلا ونتأكد من طبيعته.

فأطاعه مدحت وهبطا يتبعهما العمال إلى الأسفل.. ولكنهم عندما هبطوا رأوا شيئا غريبا.

***

(٤)

أشياء غريبة تحدث . .

كان المهندس محمود في أحد مواقع العمل التابعة لمكتبه..

أخذ يمر علي الأعمال التي يقوم بها العاملين في همة ونشاط.. ربما بسبب مروره عليهم.

أخذ ينظر هنا وهناك قبل أن يذهب إلى المشرفين عن العمل ويقول لهم:

- العمل يسير على ما يرام ولكن هناك بعض الأجزاء تحتاج إلى العناية بها.. وهناك أجزاء أخري تحتاج إلى هدمها وبناءها من جديد.

كان محمود مهندساً متميزاً له اسم في مدينة الأسكندرية – وإن كان مدحت لا يعرف هذا – وكانت له نظراته التي لا تخيب في العمل.

أخذ يعطي المشرفين توجيهاته.. قبل أن يقول لأحدهم:

- هل أرسلت العمال إلى مقر الفيلا؟

فأجابه الرجل:

- نعم.. ولكن ليس كل العمال..

فسأله المهندس محمود:

- لماذا؟
- لقد جلب القائم على الأعمال في الفيلا.. ما إسمه ؟!!
- مدحت.
- نعم مدحت.. لقد جلب بعض العاملين.
- كثير؟
- إلى حد ما.
- حسنا.. لا يهم.. المهم أن ينجز العمل كما أريده.

قال هذا ثم عاد إلى سيارته وتوجه إلى مكتبه تاركا الكثير من علامات الإستفهام في رأس محدثه.

***

كان المهندس عبد المنعم طالباً متميزاً أثناء الدراسة.. كان الجميع يشهد له بالكفاءة ويتوقع له مستقبلاً باهراً وهذا ما ساعده كثيراً بعد تخرجه في الإلتحاق بمكتب المهندس محمود الهندسي الذي يعد من أكبر المكاتب الهندسية الموجودة في مدينة الأسكندرية.. وربما في مصر كذلك.

ولقد صب كل جهده في العمل مما أثار إهتمام المهندس محمود فجعله يهتم به ويثني عليه ويقربه – رغم حداثة سنه بالنسبة لمن حوله – بل ويختصه بأعمال لا يختص بها غيره.

ولكنه في الفترة الأخيرة شعر أن المهندس محمود يقوم بأشياء غريبة لا يجد لها تفسيرا.. إذ ما الذي يحدو به لأن يحضر عامل مثل هذا المدعو مدحت ويعطيه عملاً مهما مثل هذه الفيلا؟

ولماذا هو بالذات؟

لم يدري حقا.

كان يرى إن المكتب يحوي من العاملين ما يستطيع به هدم الإسكندرية ذاتها وبناءها مرة أخرى.. ومن المشرفين ما يمكنه من متابعة بناء الهرم ذاته لو فكر أحدهم في بناء شيئا كهذا.

إذا لماذا مدحت؟

لم يجد شيئا منطقيا في كل هذا.

***

"لقد جفت"

أشار أحد العاملين بإصبعه إلى الأعلي وهو يقول هذه الكلمة لمدحت في صوت مرتعش فنظر بشكل تلقائي إلى الأعلى هو ومن يتبعه من العاملين وبالفعل لم يرى أي أثر للبقعة في السقف.

كان السقف خاليا تماماً من أي شيء.. إلا من بعض الخلل في الدهان لقدم عهده.. أما غير ذلك فلا يوجد شيء وكأن شيئاً لم يكن.

تحير مدحت كثيراً في هذا الذي يراه..

- أين ذهبت البقعة في السقف؟

قالها وهو في أشد حالات الدهشة ثم نظر فيما حوله فوجد الجميع يحدقون في السقف في بلاهة غير مدركين.. فنظر إلى الأرض ليرى تلك البقع الحمراء ولكنه لم يجد لها أثراً هي الأخرى.

- هل أزال أحدكم تلك النقاط التي كانت تتساقط من السقف؟
- لا.. لم يفعل أحد شيئا كهذا.

كانت هذه من أحد العمال مما جعل مدحت يتحير فعلا من هذا الأمر ولكنه قال:

- قد تكون الأرض قد تشربتها..

كان يحاول بذلك أن يلهي العمال عن التفكير في هذا الأمر ولكنه هو نفسه لم يصدق نفسه لذا فقد نظر إلى مجدي يستلهمه مخرجا.. ولكن مجدي كان في أشد حالات الذهول مما حدث..

"كيف جاءت هذه البقعة في السقف؟..

وكيف اختفت؟..

أين ذهبت أثار النقاط التي تساقطت منها؟..

ما سر العامل الذي صرخ في البداية وهرول خارجا؟..

إنها أمور غريبة بالفعل.."

كان مجدي يفكر في كل هذا وهو يتابع العمال الذين تفرقوا مجموعات وكل أخذ يلقي وجهة نظره فيما يحدث.. هنا صرخ فيهم قائلا:

- لماذا أنتم متوقفين عن العمل؟.. ليعد كل منكم إلى عمله.
- والذي يحدث هذا؟

قالها أحدهم فرد عليه مجدي قائلا:

- ما الذي يحدث؟.. لقد سرب سقف إحدى الحجرات وانتهى التسريب.. انتهينا.. هل هناك ضرراً أصاب أحدا منكم؟.. لا.. إذا لينصرف كل إلى عمله.. نحن لم نأت لنتحاور هنا.

انصرف العمال إلى أعمالهم أمام كلامه هذا وفي رؤوسهم فكرة واحدة..

"إن هذه الفيلا مسكونة"

***

- ما هذا الذي يحدث بالضبط؟

قالها مجدي في دهشة متوجسة فقال له مدحت في شعور مماثل:

- لا أدري حقا.. إنها أمور غريبة جدا.. فكيف تظهر بقعة في السقف والجميع يراها بوضوح ثم تختفي وكأنها لم تكن.. ثم أين ذهبت القطرات التي تساقطت منها؟

شاركه مجدي في تفكيره هذا وهو يكمل كلماته قائلا:

- وكذلك من أين أتت غرفة المكتبة في الطابق الثاني التي لم نراها قبلا.. ثم ما حكاية العامل الذي أصيب بالهلع في الصباح؟.. والأخر الذي ترك العمل فجأة وهو يصر على أن الفيلا مسكونة؟

نظر له مدحت في تفكير ثم قال له:

- دعنا لا نتعجل الاستنتاجات ونفكر علنا نجد سببا واضحا لما يحدث بالفعل.
- حسنا.. كلي أذان مصغية.
- بالنسبة للبقعة التي ظهرت في السقف ربما كان أحد العمال يقوم بخدعة ما من الطابق العلوي ولعله كان يضحك بشدة عندما رأنا كلنا ننظر إليها في هلع..

قاطعه مجدي قائلا:

- خدعة؟.. وكيف صنع تلك البقعة في السقف ثم محاها كليا وكأنها لم تكن.. ألا ترى أن هذا غريبا؟
- ربما كان يملك أداة ما يمكنها صنع ذلك.
- ماذا؟!.. أساحر هو؟.. لقد قلت نفكر تفكيرا منطقيا فهل ترى أي منطق فيما تقوله؟
- إذا ما الذي حدث بالضبط؟
- أنا أرى أن نذهب إلى العامل الذي أصابه الذهول في الصباح لنرى ماذا أصابه.

فوافقه مدحت وهو يشعر بالكثير من الغرابة في هذا الأمر..

بعدما انتهى العمل ذهب مدحت ومجدي إلى بيت العامل بعد أن تقصيا عن عنوانه من العمال.. كان العامل يسكن في منطقة شعبية في بيت متهالك تهتز درجاته عند الصعود عليها وتشعر كأن الجدران تكاد تتهاوي إلا أن هناك معجزة ما تجعلها متماسكة حتى الأن..

- إن هذه البيوت تشعرك وكأنك تعيش في إحدى القصور.

قالها مجدي ساخرا فقال له مدحت:

- الحمد لله علي ما أعطانا.. إن هذا يجعلك تدرك نعمة الله عليك وتشكرها.

نظر له مجدي ضاحكا ثم قال ساخرا:

- عندك كل الحق يا شيخنا!

فقال مدحت:

- إصعد.. ولا تزيد في الكلام.

صعدا حتى الشقة التي يسكن فيها العامل ودقا الباب.. ففتح الباب عن وجه عجوز في أرذل العمر نظرت لهم في دهشة قبل أن تقول:

- من أنتما؟

فقال لها مدحت وهو يرسم على وجهه ابتسامة :

- نحن رفاق يونس في العمل.. ألا يقطن هنا؟

فقالت العجوز:

- نعم يا ولدي.. ولكنه مريض اليوم.

فقال مجدي :

- نعم يا أمي.. نعلم.. لذا اتينا له كي نزوره.

ففتحت العجوز الباب وأدخلتهما ثم ذهبت إلى الغرفة الداخلية وغابت للحظات ثم عادت وقالت لهما:

- إنه في انتظاركما.

فتوجها للغرفة الداخلية التي يرقد بها يونس وألقيا عليه السلام.. وما أن رأهما العامل حتي حاول أن يقوم من السرير الذي يرقد عليه ليستقبلهما ولكنهما أبيا عليه ذلك وقال مدحت:

- لا تعمل تكليفا يا رجل.. نحن جئنا لنطمئن عليك.

فقال يونس:

- زدتونا شرفا.. إجلسا.. ماذا تشربان؟

فشكراه ثم قال مدحت:

- هل تعاني من مرضا جسمانيا أم ماذا؟

فقال يونس:

- لا.. إني في صحة سليمة كما الحصان والحمد لله.. إنما أنا متوتر قليلا مما حدث في الصباح.

فقال مجدي:

- وما الذي حدث في الصباح؟

فظهرت علامات الدهشة علي وجه يونس وهو يقول:

- ألم يخبركما سعيد وسيد عما حدث؟!

هنا تذكر مدحت ومجدي العاملين الذين قاما بايصاله في الصباح ولكنهما لم يعودا ولم يلفت غيابهما الإنتباه في ظل الأمور التي حدثت بعد ذلك.. لذا فقد حثاه على أن يحكي ما حدث فقال:

- لقد كنت أعمل في تكسير الحوائط كالمعتاد وكان الريس حامد (ذلك الذي ترك العمل عندما سقط يونس) يعمل بجواري.. وكنا قد دنونا من إنهاء العمل في الغرفة تقريباً.. وكان التعب قد بلغ بنا مبلغه فجلسنا لنستريح قليلاً وأخذنا نتكلم في العديد من الأمور وأشعلنا لفافتين من التبغ حتى مر بعض الوقت واستعدنا بعض عافيتنا فقمنا لاستكمال العمل.. ولكني عندما قمت لا حظت أن هناك شيئا على غير ما يرام ولكني لم أحدد ما هو هذا الشيء بالضبط.. لذا فقد اتجهت نحو استكمال العمل ولم أعطي للأمر أي أهمية إلا أنني حينما التفت نحو الريس حامد وجدته يحدق في منطقته من العمل وتظهر على وجهه علامات الحيرة وأخذ ينفض رأسه وكأنه

يحاول أن يخرج منها فكرة ما.. فسألته عما به فأجابني إجابة غريبة.

فقال مدحت الذي كان منتبها مع الرواية تمام الانتباه:

- وما هذه الإجابة الغريبة؟

فقال يونس:

- لقد قال لي أنه عمل في هذا المكان قبلا وعندما سألته عما يعنيه أجابني في حالة من الغضب أنه قد أتم تكسير هذه المساحة من الحائط قبلا ولكنها الأن سليمة وكأنه لم يمسها بمطرقته.

فقال مدحت:

- لا ريب أنه كان متعبا فاشتبه الأمر عليه.

فقال يونس:

- لقد رأيت ذلك أنا الأخر.. رغم أن هذه الفكرة قد فسرت ما كنت أشعر به عندما دخلت إلى الغرفة بعد فترة الراحة.. ولكن هذا الأمر بالطبع لا يمكن تصديقه لذا حاولت جاهدا أن أهدأه وقلت له أن يخرج ليستريح في الخارج أو أن يرجع للبيت إذا كان يشعر بألم ما.

فقال مدحت:

- تفكير سديد.. ولو كان قد جاءني لكنت صرفته على الفور.

فقال يونس وكأنه لم يسمعه:

- ولكنه لم يستمع لهذا الكلام.. بل لقد ازداد غضبا وقال.. ألا يصدق أحد منكم هذا الأمر؟.. ألم يسائل أحد منكم نفسه يوماً لما استمر التكسير في حوائط هذه الفيلا الملعونة كل هذا الوقت ولم ينتهي رغم أنه من المقترض أن يكون قد انتهي الأن؟.. ولكنكم أغبياء.. أغبياء لدرجة لم تورد قبلا.. حاولت تهدأته ولكني لم أستطع فجذبته ووقفت معه خارج الغرفة قليلا ثم تركته ودخلت إلى الغرفة مرة أخرى لاستكمل العمل على أن يهدأ ويدخل هو الأخر بعد ذلك.. ولكني عندما دخلت هالني ما رأيت.

فقال مدحت ومجدي معا:

- وماذا رأيت؟
- رأيت الحائط يعيد بناء نفسه!

نظر مدحت ومجدي إلى بعضهما في دهشة وكأنهما لا يصدقا ما سمعاه.. قبل أن يقول مدحت:

- يبدو أني لم أسمع جيدا.. ماذا رأيت؟

فقال يونس :

- أنا أعلم أن أحدا لن يصدقني.. لقد رأيت الحائط يعيد بناء نفسه.. رأيت ما تم تكسيره واستقر على الأرض يعود إلى مكانه في الحائط مرة أخري بطريقة ما..

فقال مدحت بعد أن نظر له برهة:

- لا ريب أنك متعب بشدة.. أنا أنصحك بالراحة فلتأخذ يومين أجازة.

فقال يونس وهو يبتسم:

- أنا أعلم إنك لن تصدقني.. ألم أقل لكما قبلا.. ولكن هذا ما حدث.

قال ذلك فهز مدحت رأسه قبل أن يقول مجدي:

- المهم.. لقد جئنا لنطمئن عليك.. ألست بخير؟
- الحمد لله.
- حسنا فلتأخذ يومين أجازة لتستريح فيهما ثم تعود إلى العمل.. هل تريد شيئا؟
- شكرا.

قالها يونس بنوع من الألم لعدم تصديقهما إياه.. ولكنهما خرجا من البيت دون أن يزيدا كلمة أخرى وسارا في الشارع صامتين قبل أن يقول مدحت:

- أتصدق ما قال هذا الرجل؟

- لا ريب أنه الإرهاق في العمل.. أو ربما كان يريد أن يأخذ إجازة من العمل فابتكر هذا الأمر عندما روى له الريس حامد ما ظنه قد حدث.

فقال مدحت:

- ربما.. ولكني أشتم رائحة شيء على غير ما يرام في هذا الأمر.

فقال مجدي ضاحكا:

- فلتشتم كما تريد.. المهم أني الأن أتضور جوعا ألا تريد أن تأكل؟

فوافقه مدحت وذهبا إلى أقرب مطعم ليتناولا طعامهما .

***

(٥)

مزيد من الأشياء الغريبة تحدث.

في الصباح التالى ذهب مدحت ومجدي إلى العمل وما قاله العامل يونس يشغل تفكيرهما بشدة ولكن كلاهما حاول إبعاد هذه الفكرة عن رأسه بطرقه الخاصة.. فمدحت أخذ يتفكر فيما هو مقبل عليه من العمل اليوم كما أنه تفكر قليلا في هيام.

أما مجدي وعلى الرغم من أنه عملي بشدة إلا أن العمل لم يرد على تفكيره لحظة.. كان كل تفكيره ينصب حول فتاة جميلة رأها بالأمس وجاذبها أطراف الحديث.

كان مجدي هكذا.. لا يشغل باله بأمر ما لمدة طويلة وكان حيوي بشكل غير عادي.. يعشق الحياة.. يهوي العبث واللهو.. أي تستطيع أن تقول أنه كان يعيش فترة شبابه كما يجب أن تكون.

دخلا إلى الفيلا وكان معظم العمال يقومون بأعمالهم.. ظلا لبعض الوقت في الأمور العادية التي تحدث كل يوم وإن كانا قد لاحظا أن العاملين الذين أوصلا يونس بالأمس لم يأتيا للعمل اليوم.. فقال مدحت معلقا على هذا الأمر:

- أرأيت الجبناء.. مجرد أن يحكي لهما شخصا ما رواية عن أشياء غريبة حتى تجدهم ينقطعان عن العمل.. ألا ترى أن هذا غريبا؟!

فقال مجدي:

- لا أدري.. ربما هناك شيئا ما شغلهما عن العمل اليوم.. أنت لا تدري ماذا عند الناس.

نظر له مدحت ثم ابتسم قائلا:

- عندك كل الحق.. ولكن ما هذه العبقرية التي هبطت عليك اليوم.. إني لم أعتد على هذا!

فقال مجدي على الفور:

- إنه الحب يا صديقي.. الحب.

نظر له مدحت في سخرية قبل أن يقول:

- الحب؟.. هل أحببت أخيرا؟!.. وأين رأيتها هذه ومتى؟

فقال مجدي في وهله:

- أين رأيتها؟.. رأيتها في بيتنا.. فأثناء رجوعي إلى البيت رأيتها خارجة من شقة في الطابق الذي يسبق طابقنا فهالني ما رأيت يا صاحبي.. قمراً يمشي على الأرض؟!!.. يا ربي!.. ما كل هذا الجمال؟!.. وبمجرد أن رأيتها أحسست أن قلبي يدق في شدة

وأحسست بأن قدمي قد عارضتني وأبت أن تصعد إلى البيت لتستريح لذا لم يعد أمامي إلا أن أقترب منها وألقي عليها السلام ثم سألتها إن كانت تسكن في البيت.. كنت أدعي السذاجة بالطبع فأنت تعلم أني أعلم كل من يسكن في الشارع الذي أسكن به وربما كل من بالمنطقة.. ولكنها لم تلحظ ذلك وأجابتني أنها كانت أتية لزيارة إحدى صاحباتها فانتهزت الفرصة وربطت معها أواصر الحديث حتى وجدت نفسي أسير معها حتى بداية الشارع حتى أوقفت سيارة من سيارات الأجرة وتوجهت إلى بيتها تاركة قلبي خلفها والها.

فقال مدحت:

- ومتي حدث هذا؟
- بالأمس فقط.
- وأحببتها هكذا من فورك؟.. حسنا يا روميو فلنعود إلى العمل.

وبمجرد أن قال ذلك – وكأنه كان إيذانا بحدوث شيئا ما – سمع صوتا غريبا يأتي من أحد نواحي الفيلا ولاحظ أن العمال يتركون ما يقومون به ويتجهون نحو مصدر هذه الجلبة.

فقام هو ومجدي وتوجها نحو المكان الذي يتجمع فيه العمال.. وهالهما ما رأيا.

***

ذهب العاملان سعيد وسيد إلى المكتب الهندسي الذي يملكه المهندس محمود صاحب الفيلا التي يعمل فيها مدحت.

وبمجرد أن دخلا إلى المكتب جلسا على الأريكة وأخذا في تجفيف عرقهما – الذي كان ينسال بغزارة بالفعل – ويتنفسان بصعوبة حتى أن السكرتيرة قد خافت من منظرهما هذا وسألتهما في دهشة متوجسة:

- ماذا يجري؟.. أتعانيان من شيء ما؟

فقال سعيد وهو يمسح عرقه:

- لا أبدا.. نحن نريد أن نقابل المهندس محمود.

فنظرت إليه السكرتيرة بنظرة حائرة للحظة قبل أن تقول:

- بخصوص ماذا؟

كانت لم تراهما قبلا ولكنها كانت قد تعودت على قدوم العمال أحيانا إلى المكتب ولكنها قبلا لم ترى ما تراه في هذين العاملين من قلق ظاهر.. بل تكاد تقول رعبا ظاهرا.. حتى أنها حين رأتهم لأول وهلة خيل إليها أنهما خارجان لتوهما من معركة حربية أو من أحدى قصص الرعب لذا سألتهما هذا السؤال بشكل تلقائي ولكنهما لم يكونا في حالة تسمح بالأخذ والرد في الكلام لذا فقد قال سيد في صوت غاضب:

- لقد قلنا لكي أننا نريد أن نقابل المهندس محمود.. أدخلي إليه وابلغيه دون المزيد من الكلام.

أصاب السكرتيرة الغضب وفكرت "كيف يكلمني بهذه الطريقة؟" لم يكن إعتراضها على الطريقة ذاتها إذ أن المهندس كثيراً ما كان يحتد عليها وكانت تبتلع هذا صامتة.. أما ما جعلها تعترض هذه المرة هو الشخص ذاته إذ أنها كانت تراه شخصاً أقل منها في المستوي لذا لم تقبل منه هذه الغضبة التي رأتها إهانة ولكنها لم تتحدث بكلمة واحدة حتى.. لأن المهندس محمود فتح الباب في هذه اللحظة ليرى سر هذه الجلبة.. فلما رأي العاملين أمرهما بالدخول من فوره ثم نظر للسكرتيرة وقال لها:

- لا أريد إزعاجا.

ثم أغلق الباب تاركا خلفه السكرتيرة في دهشة شديدة..

***

ما أن اقترب مدحت ومجدي من الموقع الذي تجمع حوله العمال حتى هالهما ما رأيا.

كان هذا الموقع عبارة عن غرفة ضيقة لا تتعدى مساحتها المتر طولاً ومثله عرضاً وعليها بابا مغلقا لا يدريا حقا لما تم وضعها في نهاية هذه الفيلا.. ربما كانت تستخدم كمخزن لشيء ما أو ما إلى ذلك.. هكذا فكرا لذا لم يضعها أحد في الحسبان عند بداية العمل وتركاها مغلقة كما هي على أن يتم العمل فيها في النهاية.

كانت الغرفة مقفلة بقفل كبير من الخارج وبجوار بابها مفتاح للكهرباء يتحكم في إضاءة الغرفة وكان أسفل الباب مرتفعاً قليلاً عن الأرض

بحيث يتمكن من يقف في الخارج من رؤية أرضية الغرفة إذا ما انحني أو ابتعد قليلا ليفسح لنفسه مجالاً للرؤية.. لذا كان الجميع يرى بوضوح ما يرتكز على أرضية الغرفة الذي لم يكن سوى فردتي حذاء غير متلاءمتين ترقدان علي الأرضية.

أول ما لاحظاه عندما اقتربا أن الإضاءة داخل الغرفة تضيء وتنطفيء بطريقة غريبة.. ولكن مدحت ما أن رأى ذلك حتى أمر العمال بالإبتعاد قائلا:

- ما هذا؟!.. أتتركون العمل وتتجمعون حول هذه الغرفة من أجل هذا؟.. لا ريب أن مفتاح الكهرباء أصابه عطل ما.

واقترب بالفعل من باب الغرفة ناويا على أن يري ما الذي حل بمفتاح الكهرباء.. ولكنه ما أن اقترب حتى رأي شيئاً غريباً.

لقد رأى ما بدا له كخيال لشخص واقف يظهر بوضوح عندما تضيء الغرفة ثم يختفي مع إختفاء الإضاءة.. فتوقف مدحت مندهشا لما رأه.. فقال أحد العمال:

- المسألة ليست مسألة إضاءة فقط.. ما رأيك في هذا الذي رأيته؟

فقال مدحت وقد أصابه بعض التوجس:

- لا ريب أن أحدا بالغرفة.

فقال عامل أخر:

- وكيف دخل إليها.. إن الباب مغلق من الخارج بقفل كبير.. كما أنك إذا نظرت من أسفل الباب لرأيت أن الغرفة ليس بها إلا هذا الحذاء فأين الرجل؟.. لا ريب أن هذه الفيلا مسكونة.

ما أن قال الرجل ذلك حتى ساد الذعر بين العمال ولكن مدحت حاول أن يهدأهم ونظر إلى مجدي محاولا أن يدعوه لمعاونته في ذلك ولكن مجدي كان في هذه اللحظة ينظر إلى الباب في ذهول شديد فنظر مدحت بدوره إلى الباب.. ليرى شيئاً غريباً.

***

جلس المهندس محمود خلف مكتبه وأخرج لفافة تبغ وأشعلها قبل أن ينظر إلى العاملين ويقول لهما:

- ما الذي أتي بكما ها هنا.. ألم أقل لكما ألا تأتيا هنا؟

فقال سعيد:

- ولكن الأمر يستدعي أن نأتي.. إن الأمر شديد الأهمية بالفعل.

فنظر له المهندس محمود قبل أن يقول:

- قبل أن نتكلم في أي أمر.. هل فعلتما ما أمرتكما بفعله؟

فقال سيد في سرعة:

- إن الأمر الذي جئنا من أجله هو هذا الأمر بالذات.

اعتدل المهندس محمود في مجلسه وقال:

- ماذا تعني؟

فقال سعيد:

- يعني أنك قد خدعتنا.
- خدعتكم؟!

قالها المهندس محمود في دهشة.. فاستطرد سعيد قائلا:

- نعم خدعتنا.. لقد أمرتنا بفعل أموراً تقوم بإخافة العمال وتقنعهم أن الفيلا مسكونة.. ولكنك لم تخبرنا أن الفيلا مسكونة بالفعل.

نظر له المهندس محمود في دهشة بالغة هذه المرة وكأنه لا يصدق ما يسمعه قبل أن يقول:

- ماذا تقول؟.. الفيلا مسكونة؟!.. ماذا تعني بأن الفيلا مسكونة؟

فقال سيد هذه المرة :

- نعم الفيلا مسكونة.. لقد نفذنا الأمر كما أعددنا له بالضبط تركنا أول أسبوع يمر في هدوء ثم جهزنا الأدوات التي أعطيتها لنا لكي نجعلها تعمل ونخيف بها العمال، وفي نفس الوقت الذي قررنا فيه أن نعمل حدث ما لم يكن في الحسبان.
- وماذا حدث؟

سأله المهندس محمود في توتر فقال سيد:

- حدث الكثير.

ثم أخذ يروي وكلما كان يستمر في السرد كان المهندس محمود يدرك أن في الأمر خدعة ما.. ولكنه لم يدري من يفعلها.. ومن سوف يستفيد من هذا؟..

***

كانت الإضاءة في الغرفة مستمرة على نفس الحالة من الإضاءة والإنطفاء.. ولكن مدحت لاحظ هذه المرة شيئاً غريباً يحدث.

كانت الإضاءة عندما تضيء ما داخل الغرفة يظهر خلف زجاج الباب خيال الرجل كما رأه مدحت أول مرة.. ثم تظلم الغرفة.. ولكنها عندما كانت تضيء مرة أخرى كان لا يجد خيال الرجل خلف الزجاج.. وهكذا.

ظل الأمر هكذا ومدحت ومجدي والعاملين جميعاً ينظرون مشدوهين إلى الباب قبل أن يكسر مدحت الصمت قائلا:

- هناك أمرا غريبا يحدث!.. إن هذا الأمر غير طبيعي بالمرة.

وما أن قال ذلك حتى ثبتت الإضاءة في الغرفة.. ولكن خيال الرجل لم يكن له وجود.. ظهر التوتر على وجه العاملين وتراجع بعضهم خطوة إلى الخلف وكأنهم كانوا يتوقعون حدوث شيئا ما.. وتركزت الأنظار كلها على الباب في إنتظار ماذا سوف يحدث.

لم يدري مدحت لما كل هذا الترقب.. كان يظن أن الأمر انتهى بثبات الإضاءة إلا أن ظنه هذا كان ليس في محله.. عرف ذلك حين سمع بعض

الشهقات تخرج من العمال تعجب لها في شدة قبل أن يشاهد ما جعلهم يخرجون هذا الصوت.

كانت فردتي الحذاء تتحركان في أرضية الغرفة.

تسمرت عينا مدحت على ما يحدث حتى أنه لم يبال ببعض العمال الذين هرولوا خارجين من المكان.. ولا بباقي العمال الذين ثبتهم الرعب في أماكنهم وظلوا يتابعون ما يحدث.

كانت فردتي الحذاء تسيران في أرضية الغرفة دون أن يرتديهما أحد وفجأة ثبتتا في موضعهما ثم بدأتا في الدوران حول محورهما في سرعة.

ظلت سرعة دورانهما تتزايد وتتزايد.. ثم فجأة صدر منهما شرراً غريباً أخذ يعلو قبل أن تصدر فرقعة مكتومة داخل الغرفة.. إنطفأت على أثرها الإضاءة داخلها وثبت الحذاء في مكانه وعادت الأمور إلى طبيعتها وكأن شيئا لم يكن..

***

(٦)

تفكير منطقي

نظر المهندس محمود إلى العاملين في دهشة بالغة قبل أن يقول:

- إن ما تقولانه هذا لا يصدقه عقل..
- ولكنه حدث..

قالها سعيد ثم ساد الصمت قليلاً قبل أن يقوم المهندس محمود من مقعده ويطل قليلاً من النافذة في غرفته..

كان ما يحدث غريباً على سمعه بشكل غير مسبوق..

كما أنه يغير العديد من الأحلام التي كان يبنيها حول هذه الفيلا..

فالفيلا كانت ملك لأحد الأشخاص.. وكان هذا المالك قد ورثها عن قريب له مات قريباً وكان كل ما يرغب فيه هو المال من ورائها.. لذا فكر المهندس محمود في استغلال هذه الفرصة عندما جاءه هذا الرجل يعرض عليه ان يقوم بإجراء أعمال الصيانة اللازمة للفيلا حتى تصبح فى حال أفضل مما يزيد من سعرها بشكل كبير..

وعندما رأى المهندس محمود الفيلا لم يصدق ما يراه لأول وهلة.. كانت الفيلا ضخمة بشكل غير مسبوق.. صحيح أنها كانت في حالة يرثى لها وكأن يدا لم تمسها منذ أبد.. إلا أنه رأى أنه يستطيع أن يصنع منها تحفة حقيقية.

وفى هذا الوقت بالذات لعب الطمع بعقله ففكر فى حيلة الأشباح هذه حتى يخيف العمال من العمل فيها، وكان ينوي أن يذهب للمالك بعد ذلك ويعرض عليه أن يشتريها منه بسعر معقول على أساس أن لا أحد سوف يبتاعها وهي على هذه الحالة وسوف يفهمه أنه ينوي أن يقوم بهدها وبناء أخرى مكانها..

أما والحال هكذا فالأمر يختلف..

صحيح أنه ظن لأول وهلة أن الأمر يصب فى مصلحته ولكنه انتبه إلى حقيقة هامة وهي أنه يستطيع بالفعل أن يبتاعها وهي فى هذه الحالة بسعر معقول دون جهد كبير ولكن.. ماذا يفعل بها بعد ذلك؟..

وحتى لو تمكن من صيانتها.. كيف يبيعها؟!

ولو قام بهدها من يضمن أن البناءات الجديدة لن تكون خالية من الأشباح..

أفاق من تأملاته هذه على صوت سيد يقول:

- احم.. لم تقول لنا ماذا سوف نفعل.. نحن فى انتظار رأيك..

نظر له المهندس محمود لوهلة بنظرة غير ذات معنى قبل أن يقول:

- حسنا .. اعتبرا نفسيكما قد اتممتما ما أرسلتكم لفعله ولسوف تصرفا المبلغ المتفق عليه دون نقصان ولكن على شرط واحد.. ألا تخبرا أحدا بأي شيء حول هذا الأمر.. ولا تذهبا مرة أخرى إلى موقع الفيلا.. مفهوم؟؟

قال سيد :

- مفهوم..

ولكن سعيد فكر قليلا ثم قال:

- ولكن ماذا يفيد الكتمان.. فجميع العمال قد شاهدوا ما حدث للعامل يونس ولا ريب أنهم قد عرفوا بما حدث الأن..

فقال المهندس فى تبرم:

- لا أقصد هذا الأمر.. بل أقصد الاتفاق الذي بيننا..

فقال سعيد فى حرج:

- حسنا.. حسنا فهمت..

ثم قام العاملان وانصرفا تاركان المهندس فى غرفته غارقاً في أفكاره..

***

- إن ما يحدث غريباً بالفعل..

قالها مجدى بصوت مختلج وهو يوجه حديثه لمدحت الذي كان في حالة غريبة لا يستطيع هو نفسه تحديدها.. حالة من عدم التصديق ممتزجة بالدهشة وبها بعض اللمسات من الرعب..

"أشباح في وضح النهار؟!.. هذا ما لم يسمع عنه قبلا"

أخذ مدحت يفكر في الموضوع ومجدي يتكلم في انفعال:

- أرأيت الذى حدث.. أنا لم أرى شيئا كهذا قبلا.. الحذاء تحرك وحده.. والشبح الذي يظهر ويختفي.. إنه أمر يفوق الإدراك حقا.. ثم ما موضوع الإضاءة هذا.. إن..

هنا قاطعه مدحت قائلا فى جدية:

- كفى..

فنظر له مجدي في دهشة قبل أن يقول له:

- ماذا بك.. لقد أفزعتني..
- تعالى معي..

قالها مدحت وقد اكتسب صوته الكثير من الجدية المغلفة بالثقة مما أكسبه منظراً مهيباً جعل مجدي يتبعه دون أن يعلق..

كان العمال قد اجتمعوا في حلقات وأخذوا يتحدثون حول ما حدث ولم يدري أحد سر هذا.. لذا فقد قال مدحت في صوت جهوري:

- اسمعوني.. أيها العمال.. تجمعوا هنا واسمعوني..

نظر له معظم العمال فى استخفاف وأكثرهم قال فى نفسه "ماذا يظن نفسه.. أيظن نفسه قائد فى معركة حربية أم ماذا؟"

لاحظ مدحت ذلك ولكنه لم يعلق بل استمر فى كلامه..

- إن ما حدث خارق للطبيعة.. أنا معكم في هذا.. ولكن هناك شيئين يجب علينا فعلهم الأن.. أولهما أن نتأكد أن ما حدث هذا لم يحدث بفعل فاعل.. إذ ربما يكون هناك أحدا يفعل ذلك ويرغب في تخويفنا لغرض في نفسه.. وثاني شيء وهو الأهم.. أن ما يحدث لم يصب أحد منا بسوء..

قاطعه أحد العمال قائلا:

- وماذا عن الرعب الذى نشعر به ألا يعد هذا سوءاً؟؟

قال مدحت:

- ولماذا نرتعب.. إن ما حدث يشبه الألعاب السحرية وكما قلت لم يصب أحدا منا بسوء.. هل أصيب أحد ما؟؟.. لا أظن..

هنا قاطعه أحد العمال مرة أخرى:

- وماذا عن يونس بالأمس.. ألا ترى أن هذه اصابة أم ماذا؟.. لا أنا لن أعمل هنا مرة أخرى..

قال هذا وذهب ليجمع أدواته استعداداً للانصراف فنظر مدحت إلى مجدى طالباً منه العون فقال مجدى:

- ماذا تفعل أنت هناك؟.. ألا تنتظر حتى أن نتأكد أن ما حدث حدث بفعل فاعل أم لا؟.. انتظر قليلا..

ولكن الرجل لم يستمع لكلامه واستمر في جمع أدواته..

وقف العمال ينظرون إلى ما يحدث صامتين برهة ثم اتجه بعض العمال يفعلون مثلما يفعل زميلهم.. أخذوا يجمعون في أدواتهم استعداداً للرحيل..

فقال مجدي فى صوت غاضب:

- إن ما تفعلونه خطأ فادح.. أنا لم أرى قبلاً من يقطع رزقه بيديه مثلكم..

هنا انهالت الأصوات عليه:

- الأرزاق بيدي الله..
- ملعون الرزق الذي يأتي بهذه الطريقة..
- ما هذا الرزق الذي يأتي من العمل في بيوت تسكنها الأشباح؟

ظلت الأصوات تتهاوى على مجدي وهو ينظر إليهم غير مصدق فنظر إلى مدحت وأشار إليه اشارة نفاذ حيلته فقال مدحت:

- توقفوا.. توقفوا.. واسمعوني وسوف نتفق..

فنظر له العمال واستمروا فيما يقومون بفعله.. فاستطرد قائلا:

- إن أنتم أصررتم على الذهاب فلن أعجز عن جلب عمال أخرين فلن تقف الدنيا عندكم، ولكني أريد أن نتحقق أولاً مما يحدث ولتتخيلوا معي ماذا سوف يصبح حالكم حينما تذهبون ثم تعلمون بعدها من زملائكم أن ما حدث كان مجرد خدعة من أحدهم.. هل ستشعرون بالبهجة لحظتها؟

فنظر العمال لبعضهم ولم يعلق أحد منهم مما شجعه أن يضيف:

- الأسلم أن تسمعوا ما أقوله ونتحقق من الأمر.. ولو ثبت أمر الأشباح هذا لكل منكم خياره ولن أمنع أحداً من الذهاب..

ألانت كلماته العمال قليلاً فتركوا ما كانوا يفعلونه وتجمعوا حوله وقال أحدهم:

- حسنا.. ماذا نفعل لنتأكد من هذا الموضوع؟

قبل أن يتفوه مدحت بكلمة جاء صوت من أحد العمال كاد يهد كل مابناه:

- وماذا عن ما حدث بالأمس أهذا أمرا يمكن التأكد منه أيضا..

نظر له مدحت في دهشة وكذلك العمال وكأنهم تنبهوا لهذا الأمر لأول مرة إلا أن مجدي تدخل قائلا:

- ما حدث بالأمس يمكن أن يكون خدعة من العامل يونس نفسه بغية أن يأخذ اجازة من العمل دون أن يعلق عليه أحد أو نأتي بأحد مكانه..

فقال أحد العمال:

- وماذا عن الريس حامد؟

فقال مدحت:

- الريس حامد بلغ من العمر أرذله فربما كان قد أصابه الانهاك فتخيل أنه قد عمل أكثر من المساحة التي يراها بالفعل.. وهذا حقه.. ولكن السؤال المطروح الأن هل رأى أحدكم هذا يحدث في أي غرفة أخرى من غرف الفيلا؟

نظر بعضهم لبعض دون أن ينطق أحدهم بكلمة فاستطرد مجدي قائلاً:

- حسنا.. هذا يجيب على الأمر.. إذ لماذا حدث هذا ليونس بالذات وبعد أن سمع ما قاله له الريس حامد حول هذا الأمر.. ولماذا لم يحدث لأي أحد أخر.. ألا ترون في الأمر خدعة؟

هنا انبرى أحد العمال قائلاً:

- وماذا عن قطرات الدم التي تساقطت ثم اختفت؟

فقال مدحت:

- لسوف نتأكد من ذلك.. كل يذهب إلى عمله الأن وأعدكم لسوف أسهر أنا ومجدي للكشف عن سر ما يحدث في هذه الفيلا وحتى لا يظن أحدكم أننا سوف نخدعكم أو شيء من

هذا القبيل من يريد منكم أن يسهر معنا أو أن يبيت حتى في الفيلا اليوم معنا ليتأكد مما يحدث.. له ذلك.

نظر العمال لبعضهم مرة أخرى ثم ذهب كلٍ إلى عمله الذى كان يفعله وهم يفكرون في أشياء شتى ولكن أحد منهم لم يكن يستريح لهذا الأمر..

***

(٧)

القرار

أخذ مجدي مدحت إلى أحد أركان الفيلا حيث لا يستطيع أحد من العمال أن يسمعهم ثم قال له:

- أتنوي حقا أن تسهر في الفيلا اليوم؟
- بل أنوي البيات في الفيلا اليوم..

قالها مدحت فى تصميم فنظر له مجدي غير مصدق قبل أن يقول:

- ولماذا يا صاحبي.. أنت رأيت ماذا يمكن أن يحدث في هذا المكان في وضح النهار فماذا عن الليل بالله عليك؟.

فقال مدحت:

- يجب على أحد ما أن يفعل ذلك حتى نتأكد مما يحدث..
- ولماذا نحن؟!

قالها مجدي في دهشة فقال مدحت في بساطة:

- لأننا رؤساء العمال..

نظر له مجدي غير مصدق للمرة الثانية قبل أن يقول:

- نحن رؤساء العمال في العمل فقط وليس في مثل هذه الأشياء..

فقال مدحت وهو يحاول وضع فصلاً لختام هذه المناقشة:

- حسنا يا مجدي لو لم ترغب في البيات معي سوف أبيت هنا وحدي..

كاد مجدي أن يأخذ بهذا الاقتراح ويبتعد عن هذه الفيلا التي تثير التوتر في نفسه ولكنه فكر في صداقته لمدحت حيث لا يجب عليه أن يتركه في موقف كهذا لذا اتخذ قراره سريعا وقال له:

- أنت تبحث عن المشاكل يا مدحت بالفعل..

فنظر له مدحت ضاحكا ثم قال:

- هل أفهم من ذلك أنك سوف تبيت معي الليلة؟
- وهل يمكن أن أتخلف عن ذلك؟

قالها مجدى وهو يشعر أنه يرتكب أكبر خطأ في عمره كله..

***

في الليل توجه الاثنان مدحت ومجدي إلى الفيلا يحملان في يديهما حقائب مملوءة بمقتضيات السهرة..

كان العمل قد انتهى من فترة طويلة وكانت الساعة قد قاربت على الحادية عشرة مساء..

قال مجدي لمدحت في صوت بادى الانزعاج :

- لماذا تأخرت بنا هكذا؟

- وماذا سوف يفرق معك؟.. هى ليلة سوف نقضيها سواء جئنا مبكراً أو جئنا متأخرين.. أليس كذلك؟

قالها مدحت في هدوء اندهش له مجدي في شدة.. كان يبدو عليه وكأنه متوجه إلى بيته بعد عناء يوم طويل في العمل وليس هذا المكان المحاط بالخوف والتوجس وقد ظهر ذلك الإحساس في صوته وهو يقول:

- مالي أراك وكأنك متوجه إلى نزهة وليس إلى هذا البيت الغريب؟

نظر له مدحت في دهشة وقال:

- ما بك يا مجدي؟!.. مالي أراك خائفا هكذا؟.. أهذا هو مجدي الذي كان يتفاخر بشجاعته وثباته في أحلك المواقف؟.. ما الذي حل بك؟
- ألا تدري حقاً بعد كل الأحداث التي حدثت؟

قالها مجدي وكان قد اقترب من الباب فتوقف في مكانه وكأنه لا يريد الدخول.. فضحك مدحت عندما رأه يفعل ذلك قبل أن يقول:

- مالك قد ثبت في مكانك هكذا؟.. وكأن أقدامك قد غرست فى الأرض؟..

كان العرق قد ظهر بغزارة على جبين مجدي وقال بصوت مرتعش:

- مدحت.. نحن أصدقاء منذ الطفولة أليس كذلك.. ولكني وأصدقك القول لا أريد أن أدخل إلى هذه الفيلا..

نظر له مدحت غير مصدق قبل أن يقول:

- أتتركني وحدي في أمر كهذا؟
- لا ولكنني لا أستطيع الدخول..!

قال هذا ثم دار على عقبيه وسار مبتعداً ولكن مدحت لم يتركه لقد هرول خلفه وأمسكه من يده وجذبه مرة أخرى إلى الفيلا وهو يقول:

- إذن سوف تدخل معي رغما عنك..

نظر له مجدي نظرة ساحقة قبل أن يقول فى صوت مرتفع قليلاً:

- يا مدحت.. إن هذا الأمر لا ينفع على الإطلاق.. هل ترى أني أستطيع أن أقضي الليلة في هذه الفيلا وأنا بحالتي هذه؟

فقال مدحت ضاحكاً:

- أهذا هو مجدي أشجع الشجعان؟!.. لقد خيبت أملي فيك بشدة.. لا تتباهى أمامي بالشجاعة بعد ذلك..

كان مدحت يريد من قوله ذلك أن يثير حفيظة مجدي للدخول معه إلى الفيلا إلا أن مجدي خيب ظنه بشدة حينما أخذ كلامه هذا دون تعليق وصار مبتعدا.. هنا جرى مدحت خلفه وجذبه رغما عنه وتوجه به نحو الباب ثم فتحه ومجدي يقول:

- ما هذا الذي تفعله؟

إلا أن مدحت لم يجبه وهو يدفعه إلى داخل الفيلا ويدخل خلفه ثم يغلق الباب..

***

الجزء الثانى

(الفصل الأول)

"الحادية عشرة مساءاً"

جلس مجدي مرتجفاً على أحد المقاعد بينما كان مدحت يقوم باعداد العشاء لكليهما.. كان عشاءاً بسيطا يتكون من بعض الشطائر وبعض زجاجات المياه الغازية بجوار بعض الأشياء التي جلبها مجدي معه في الطريق.

ما أن أنتهى مدحت حتى بسط الأطباق على منضدة صغيرة أحضرها من الطابق الأعلى وجلس يتناول طعامه وهو ينظر إلى مجدي بنظرة عابثة.

كان مسروراً جدا للنظرات الهلعة التي تظهر فى عيني مجدي بعد أن كان يدعي طوال السنوات الماضية شجاعته المطلقة وأنه لا يهاب شيئا وأمور كثيرة من هذا الهراء الذي كان يحب أن يتفوه به، على الرغم من أنه كان في داخله يشعر مثل مجدي وأكثر ولكنه كان يرسم التماسك

على وجهه حتى لا يتراجعا إلى الخلف ويتركا الأمر دون أن يعرفا ماذا يجري حقا في هذه الفيلا..

بعد أن انتهيا من الطعام قام مدحت وجمع الأطباق وتوجه نحو المطبخ المتواجد في الطابق الأرضي ووضع الأطباق في الحوض وتركها ثم عاد إلى مجدي قائلاً:

- مالك هكذا.. تجلس ولا تبدي حراكا؟!

كان مجدي بالفعل يجلس وكأنه التصق بالمقعد الذي يجلس عليه وكانت على وجهه ترتسم أقصى أيات الفزع وكأنه ينتظر موته الأتي لا محالة..

كان الأمر في الحقيقة لا يدعو لكل هذا لأن الفيلا كانت تبدو في حالة مسالمة بشدة كل أنوارها مضاءة ولا توحي بأى نوع من أنواع الخوف إلا أن الأحداث الأخيرة كانت تسيطر على أفكار مجدي بشدة..

وللحق.. كان معه كل الحق..

لم يعلق مجدي على ما قاله مدحت بالقول وإن قام من مقعده وتوجه نحو الحمام بالطابق الأرضي وقام بغسل يديه بعناية ثم عاد وهو ينظر فيما حوله..

"لا يوجد شيئا يدعو للفزع"..

هكذا أقنع نفسه وهو عائد إلى بهو الفيلا حيث كانا يجلسان وبمجرد أن وصل حتى قال لمدحت:

- حسنا.. ماذا الأن؟

نظر له مدحت في تمعن ثم قال وهو يبتسم:

- أراك قد نسيت خوفك وتشجعت قليلاً..
- ومن قال أني كنت فزعاً من الأساس؟

قالها مجدي فقال مدحت وهو يضحك ويقلده فيما قال:

- ومن قال أني كنت فزعاً من الأساس!.. وكأني لم أدفعك دفعاً للدخول إلى الفيلا..

فنظر له مجدي فى بعض الخجل قبل أن يقول:

- حسنا.. فلنتجاوز هذا الأمر أم أننا سوف نقضي الليلة كلها فى الحديث عن ذلك؟

فقال مدحت وهو مستمر في ضحكه:

- لو كان الأمر يعود إلى لقضيتها كلها في الحديث عن ذلك، إنها فرصة لاثبات إنك انساناً عاديا مثلنا.. لقد صدعت رأسي طوال السنوات الماضية في الحديث عن بطولاتك وصولاتك وجولاتك على الرغم من أننا كنا لا نفترق يوماً منذ الصغر.

قال مجدي فى تأفف:

- حسنا.. فلننتهي من هذا الأن وإلا أنني سوف أنصرف وأقسم على هذا.

ما أن سمع مدحت ذلك حتى سكت على الفور فهو لم يكن ينوي أن يقضي هذه الليلة في الفيلا وحيداً..

ساد الصمت بينهما برهة ثم أعاد مجدي سؤاله قائلا:

- لم تقل لي ماذا سوف نفعل الأن؟

فكر مدحت هنيهة ثم قال:

- لنذهب أولاً لنفحص مفتاح الكهرباء في تلك الغرفة الصغيرة علنا نجد سبباً لما حدث في الظهيرة..

وافقه مجدي وذهبا إلى الغرفة وقام مدحت بحل المفتاح من الحائط وراجع تركيب اسلاكه إلا أنه وجدها مثبتة بعناية ولا يعتريها أي تلف..

أصابته بعض الدهشة لأنه كان يتوقع أنه سوف يجد عطلا على الأقل في أسلاك الكهرباء إلا أنه لم يظهر دهشته هذه وهو يقول لمجدي:

- لا ريب أن الخطأ يكمن فى التوصيلات المدفونة في الحائط، لعل أحدهم قد طرق على أحدها بالخطأ فيما كان يعمل مما سبب هذا التذبذب في التيار..

نظر له مجدي في حيرة قبل أن يقول:

- أتخدع نفسك أم تخدعني؟؟

فقال مدحت وهو مندهش تمام الدهشة مما قاله مجدي:

- أخدعك؟.. ولماذا أخدعك؟!!

فنظر له مجدي في حيرة أشد قبل أن يقول:

- كأنك لا تدري حقا..

فقال مدحت مستوضحا:

- وما الذي لست أدريه؟

فقال مجدي وهو يكاد يجن من هذا البرود الذي يتعامل به مدحت:

- إنك تنوي حرق أعصابي هذه الليلة على ما يبدو أليس كذلك؟

فقال مدحت وقد هالته الحدة التي يتعامل بها مجدي:

- ولما هذا كله؟
- لأن الأمر من البداية لم يكن يتعلق بتذبذب الكهرباء بل بالشبح الذي كان يظهر ويختفي وفردتي الحذاء اللتان سارتا وحدهما، أتظن أننا لو كنا وجدنا سببا لتذبذب الكهرباء كانت هذه الأمور سوف تفسر تلقائيا؟

نظر له مدحت ولم يعلق..

كان يوقن فى داخله أنه يملك كل الحق فى هذا الأمر على الأقل ولام نفسه على أنه لم يفكر في هذا الأمر.. ولكنه أيقن في لحظتها أنه لم يفكر هكذا لسبب بسيط وهو أنه كان يبحث عن أي سبب حتى ولو كان غير مثمر ليتعلق به ويبتعد عن حالة الهلع التي يشعر بها وتسيطر عليه وإن كان لا يظهرها مثلما يفعل مجدي وبكل كفاءة..

هنا استطرد مجدي قائلا:

- أكيد لا تجد كلاما لترد به.. ولكن دعنا من هذا الأن إني أريد أن أتأكد من أمر ما أولاً..

قال هذا ثم توجه مهرولا نحو الطابق العلوى يتبعه مدحت الذي لم يكن يدري فيما يفكر مجدي بالضبط..

***

صعد مجدى مسرعا إلى الطابق الثاني وتوجه مباشرة نحو غرفة المكتبة التي تكونت البقعة الحمراء في أرضيتها ثم اختفت فجأة..

كانت الفيلا ذات حجم مهول بالفعل وكانت تحوي العديد من الغرف حتى أنه تحير لبرهة أي غرفة من الغرف التي أمامه هى التي يبغيها إلا أن حيرته هذه لم تدم طويلاً..

لقد كان يبحث عن غرفة تحوى في داخلها مكتبة هكذا من المستحيل ألا يجدها، وبالفعل توجه نحو أول غرفة ظن أنها هي وفتح بابها ودخل مهرولا إلى الداخل إلا أنه بمجرد أن دخل إلى الغرفة حتى توقف فجأة حتى أن مدحت الذي كان يتبعه لاهثا لم يستطع أن يوقف نفسه وارتطم به وكاد الاثنان أن يسقطا أرضاً لولا أن تماسكا ومدحت يقول:

- لماذا توقفت فجأة هكذا؟؟

في نفس الوقت الذي قال فيه مجدي:

- ماذا بك؟ ألا تراني أم ماذا؟

قال الاثنان كلامهما ثم سكتا قليلا قبل أن يقول مجدي:

- ماذا كنت تقول؟
- كنت أتساءل لماذا توقفت فجأة هكذا؟
- لأن الغرفة خالية بالطبع..

نظر له مدحت في حيرة ثم قال:

- بالطبع الغرفة خالية.. وماذا كنت تتوقع؟!

ثم وكأنه أدرك ماذا كان مجدي يبحث عنه استدرك قائلا:

- أه أنت تبحث عن الغرفة التي تحوي المكتبة!.. إنها ليست هذه الغرفة..

ثم سحبه من يده وذهب به إلى الغرفة المجاورة للغرفة التي كانا فيها وفتح بابها فوجدا المكتبة أمامهما وكأنها ترحب بهما..

فقال مجدى:

- حسنا.. ها هي.. فلنبحث عن سبب تلك البقعة الحمراء في السقف..

قال هذا ثم تفكر قليلا حتى أن مدحت قال:

- ماذا؟.. هل اتضح لك أمرا؟

فقال مجدي وقد ظهرت في عينيه نظرة تدل على أنه استوضح أمرا كان غائبا عنه:

- نعم .. ألم نقم بتقسيم العمل في الفيلا كلها على العمال عندما بدأنا العمل في أول يوم وقد أرجأنا الغرفة الصغيرة في الأسفل إلى النهاية؟

أجابه مدحت وهو لا يدرى إلا ما يرمي بالضبط:

- بلى ..
- إذن لما أغفلنا هذه الغرفة؟

تنبه مدحت لهذا الأمر للمرة الأولى ولام نفسه للمرة الثانية كيف لم يفكر في هذا قبلاً حتى أنه قال لمجدي:

- يبدو أن الخوف له مفعول السحر عليك أنه يجعلك أكثر ذكاءاً..

ولكن مجدي لم يعلق على هذا وهو يقول:

- كما أن أحداً من العمال لم يعلق على وجود هذه الغرفة قبلاً وأنت تعرف العمال كثيرو التباهي فلو أنهم كانوا رأوها لكانوا بالتأكيد قد علقوا على هذا الأمر.. أو على الأقل كانوا سوف ينعتونا بالغباء لتركنا العمل في هذه الغرفة على الرغم من أن العمل يسير في كامل الفيلا..

قال مدحت وقد مال كل الميل لمنطق مجدي:

- معك كل الحق.. ولكن انتظر.. من الممكن أن يكون الأمر بالفعل قد لفت نظر العمال وربما كانوا ينعتونا بما قلت فيما بينهم دون أن ننتبه إلى ذلك..

فقال مجدي على الفور:

- هذا غير ممكن على الإطلاق.. كنت على الأقل سوف تجد أحدهم يأتي متطوعاً ليذكر هذه الغرفة لك كي يثبت أنه يفهم في العمل أكثر منك ويثبت قلة درايتك في نفس الوقت وبما أن هذا لم يحدث ما الذي تستنتجه؟؟

قال مدحت:

- أن العمال لم يروا هذه الغرفة قبل أن نصعد إليها..

ثم توقف قليلا وقد أذهله هذا الأمر فقال:

- ولكن كيف هذا؟؟؟

ثم أضاف وكأنه يتنصل من هذا الأمر الذي بدأ يرهق عقله بالفعل:

- لا يمكن يا مجدي.. لابد أن الأمر له تفسير غير هذا.. لابد أن العمال لم يلفتوا نظرنا إلى هذه الغرفة حتى لا نوكل أحدهم بالعمل بها..

فقال مجدي وعلامات التفكير ترتسم على وجهه:

- حسنا.. سوف أسلم معك بهذا مؤقتا ولكن هناك سؤالا أخر يطرح نفسه بشدة..
- وهو؟
- كيف غابت عنا الغرفة عند توزيع العمل؟

نظر له مدحت وتفكر لبرهة قبل أن يقول :

- ربما لم تغب عنا.. ربما قمنا بتوزيع العمال للعمل بها ولكنهم تركوها وذهبوا لمساعدة أخرين في العمل بالغرف الأخرى وأنت ترى أن الغرف في هذه الفيلا كثيرة بشكل ملفت..

قال مجدي وقد ساءه ما قاله مدحت:

- أنت بهذا تطعن في كفاءتنا.. لقد كنت أتابع العمل ولم أتوان للحظة حتى عندما كنا نجلس لنتحدث كنت أتابع العمال بنظري.. ثم من البداية.. ألم نقم بتحديد جميع الغرف وجميع الأعمال قبل أن نقوم بتقسيم العمل؟.. فكيف غابت عنا بالله عليك؟

شعر مدحت بأن رأسه تكاد تنفجر من تصارع الأفكار فيها فقال لمجدي:

- لست أدري بالضبط كيف حدث ذلك.. ولكن هذه الغرفة تشهد على تقصيرنا في هذا الأمر.. ثم أن هذا ليس المهم الأن.. المهم أن نبحث عن سبب التسريب..

فتوجها إلى داخل الغرفة ومجدي يقول:

- وهل تتوقع أنك سوف تجد شيئا؟.. لا أظن يا صاحبي.. يبدو أن هذه الفيلا مسكونة بالفعل..

***

(الفصل الثانى)

"الثانية عشرة مساءاً"

- أنت متشائم بشكل لم أظنه فيك قبلاً..!

قالها مدحت وهو ينظر إلى مجدي في غضب فقال مجدي في دهشة:

- ولما كل هذا الغضب المتبدي في عينيك؟
- لأنك بمنطقك هذا لن تصل بنا إلى أي شيء جديد.. إنك منذ البداية تميل إلى أن هذه الفيلا مسكونة بالفعل فكيف بالله عليك سوف يصل بنا هذا إلى أي تفسير منطقي؟!!.. يجب أن نفكر بشكل موضوعي في هذا الأمر.. حتى لا نصاب بهلع فوق ما نشعر به بالفعل..

نظر مجدي إلى مدحت في غضب ولكنه لم يعقب على ما قاله وعاون مدحت في البحث عن أدوات لنزع أرضية الغرفة ليعرفا بالفعل ماذا حدث..

وبالفعل قاما بنزع خشب الأرضية فلم يجدا تحته أي شيء ملفت أو يمكن أن يسبب من قريب أو بعيد ما شاهداه ومعهما العمال..

جلس مجدي في مكانه غير مصدق ما يراه ورمى الأدوات التي كان يستخدمها بجانبه بينما أنتقل مدحت إلى جانب أخر من جوانب

الغرفة وانحنى على الأرض واستعد للبدء في خلع خشب الأرضية في هذه الناحية إلا أن مجدي استوقفه قائلاً:

- ماذا تنوي أن تفعل؟!

نظر له مدحت في دهشة قبل أن يقول:

- وماذا تظنني أنوي أن أفعل؟.. سوف أكمل العمل حتى أرى سبب ما حدث.. إذ ربما أننا أخطأنا في المكان الذي يجب نزع الأرضية فيه..

فقال مجدي وفي صوته نبرة متوجسة:

- لاحظ أنك تتلف أرضية الغرفة بفعلك هذا..

نظر له مدحت وقال متبرما:

يبدو أن الهلع أثر على سلامة تفكيرك.. ما الذى تقوله بالضبط؟؟.. إننا نعمل في أرضيات وحوائط الفيلا منذما يقرب من أسبوعين.. ما الإختلاف في هذه الغرفة..

فقال مجدي في صوت هلوع:

- ألم تدرك بعد؟؟؟
- لا.. لم أدرك بعد..!
- إن هذه الغرفة هي محور كل ما يحدث..

نظر له مدحت في دهشة شديدة ثم قال ضاحكاً:

- ياللعبقرية.. وهل اكتشفت ذلك فجأة؟!

فقال مجدي في غضب:

- اتمزح؟.. وهل هذا وقت المزاح؟.. ألم نتناقش قبلا في كيفية غياب هذه الغرفة عنا ونحن نقوم بتقسيم العمل من البداية ولم نصل لشيء.. ألم يمر بذهنك أنها ربما تكون قد ظهرت فجأة بسبب الأعمال التي نقوم بها في هذه الفيلا؟

استمر مدحت في ضحكه فتوقف مجدي ونظر له متبرما فقال مدحت:

- فكر تفكيراً منطقياً.. لسوف أستمر فيما أفعله وسوف أجد ما أبحث عنه..
- وما الذي تبحث عنه؟
- سبب ما حدث .
- أتقصد السبب في ظهور البقعة أم السبب في اختفائها فجأة وكأنها لم توجد قبلاً.. على ما يبدو أن الذي تأثر تفكيره أنت وليس أنا في النهاية..

لم يلتفت له مدحت وظل يعمل ما يعمله.. فقال مجدي:

- يبدو أن هذه الليلة لن تمر على خير.. لن تمر على خير أبدا..

***

انتهى مدحت مما كان يفعله وجلس في أحد أركان الغرفة وأخذ يلهث في شدة بينما وقف مجدي ينظر له بنظرة غاضبة..

كانت أرضية الغرفة قد امتلأت بالفجوات مما جعل شكلها يبدو غريباً مما حدا بمجدي أن يقول:

- أرأيت؟.. ألم أقل لك من البداية؟.. فلنخرج من هنا الأن..

فقال مدحت بصوت متقطع بسبب اللهاث الذي كان مايزال يعانيه:

- فلتصبر قليلا حتى ألتقط أنفاسي.. ثم ما الخطأ فيما فعلت.. فهذه الأرضية كانت سوف تنزع سواء عاجلاً أو أجلاً.. صحيح أنني لم أجد أي سبب لما رأيناه ولكني لم أخسر شيئا..
- فلنأمل هذا.. فلنأمل هذا..

قالها مجدي بصوت متوجس فقام مدحت وخرج إلى خارج الغرفة وهو يقول:

- حسنا.. ها قد خرجت.. لا تهلع هكذا..
- أنت تتعامل مع الأمر ببرود غريب بالفعل..
- وأنت تتعامل مع الأمر بهلع غريب بالفعل..

قالها مدحت وهو ينظف ملابسه من الغبار الذى علق بها ثم نظر نظرة أخرى إلى داخل الغرفة قبل أن يقول:

- ما يحيرني بالفعل هو كيف ترك صاحب الفيلا هذه الكتب ولم يفكر أو يشير إلى نقلها خارج الفيلا طوال هذا الوقت؟!

ثم خطا مرة أخرى إلى داخل الغرفة ومجدي يقول:

- والأن.. ماذا تنوى أن تفعل؟

- لسوف أرى ما نوعية هذه الكتب..

أخذ يطوف بنظره بين العناوين المتراصة على الرفوف.. كانت الكتب من الكثرة حتى أن العناوين وحدها قد أعيته فقال:

- ياللهول.. وكأنك تقف فى مكتبة عامة.. ما كل هذه الكتب.. إنها فى كل الموضوعات تقريبا..

جذب قوله مجدي فتوجه إلى المكتبة وأخذ ينظر إلى الكتب.. وهاله فعلا مايراه حيث لاحظ وجود العديد من الكتب النادرة فيما بينها فمد يده وسحب كتابا وأخذ يتصفح فيه ولكنه توقف فجأة عما يفعل وأخذ ينظر إلى مدحت الذي كان يقف فاغراً فاه في دهشة لم يجده عليها قبلاً فسأله في توتر:

- ماذا بك؟

لكن مدحت لم يرد عليه بل أشار له بإصبع مرتجف نحو جانب الغرفة فتوجه مجدي إلى مكان الإشارة بنظره..

وهاله ما رأى..

***

(الفصل الثالث)

"الواحدة صباحا"

- ما هذا؟!!

قالها مجدي في دهشة شديدة فأجابه مدحت في دهشة أشد:

- لست أدري.. لقد انفتح هذا الباب عندما جذبت الكتاب..

كان ما ينظران إليه عبارة عن فجوة في الحائط تكونت عن طريق ازاحة أحد جوانب المكتبة إلى داخل فراغ فيما يبدو يقع خلف المكتبة..

كانت هذه المكتبة تشغل ثلاثة أضلاع من أضلاع الغرفة الأربعة فيما تحوي فراغاً فيما خلفها يشكل غرفة أخرى وهذه الفجوة تشكل بابا للدخول إليها، ولكن أحدا منهم لم يفكر في هذا كانا مأخوذين بالمفاجأة ولم يفكرا إلا في كيفية وجود هذه الفجوة..

إلا أن مدحت كان أول من تمالك نفسه وهو يقول:

- كيف ظهرت هذه الفجوة؟!.. ماذا فعلت بالضبط؟

تحير مجدي للحظة ونظر إلى الكتاب في يده ثم إلى مكانه في المكتبة قبل أن يقول :

- لم أفعل شيئا.. كل ما فعلته أني سحبت هذا الكتاب من هذا الرف..

وأشار باصبعه إلى الرف الأخير من رفوف المكتبة ذلك الرف الذي قام بسحب الكتاب منه فتوجه مدحت إلى المكان الذي أشار إليه مجدي وحاول أن يأخذ منه كتابا أخر وبالفعل سحب أحد الكتب وما أن أمسكه بيده حتى نظر إلى الفجوة..

كان يتوقع أن تنغلق أو يحدث أي شيء إلا أن شيئاً لم يحدث فقال لمجدي:

- حسنا فلتعيد الكتاب إلى مكانه..

وبالفعل أعاد مجدي الكتاب إلى مكانه ونظر الاثنان إلى الفجوة ولكن شيئا لم يحدث أيضا مما أصاب مدحت بالحيرة وأخذ ينظر إلى الفجوة فى هلع..

- كيف تم فتح هذه الفجوة إن لم يكن الكتاب هو السبب؟؟

قالها مجدي بصوت مرتجف فقال مدحت:

- ربما.. ربما كان الكتاب عند سحبه يقوم بفتح الفجوة ولكنها تنغلق بطريقة أخرى..

قال مجدى:

- إذن كيف؟
- لست أدري..!

ثم ساد الصمت بينهما لعده لحظات قبل أن يقول مدحت:

- ما رأيك أن نرى ماذا خلف الفجوة..؟

فقال مجدي في هلع شديد:

- لا.. بالله عليك.. ما الذى تقوله.. أتريد أن ترى ماذا خلف فجوة فتحت بطريقة غريبة في الحائط؟!!.. ما الذي يدرينا أن سحب الكتاب هو السبب في فتحها.. ما الذى يدرينا.. لربما فتحت من تلقاء نفسها.. وبعد هذا تريد أن ترى ما خلفها؟.. أمجنون أنت؟!!
- نظر له مدحت ولكنه لم يعقب فكان يرى أن مجدي يملك كل الحق فيما قاله حتى أنه فكر للحظة أن يترك الفيلا كلها إلا أنه فكر في شيء كان غائباً عنه عندما قام بسحب الكتاب فقال لمجدي:
- انتظر قليلاً.. إن الكتاب كان في الرف الأخير من المكتبة ولا ريب أنك استندت على أحد الرفوف أو الألواح العمودية للوصول إلى ذلك الرف.. أليس كذلك؟

نظر له مجدي فى حيرة غير مدرك إلام يرمي بالضبط إلا أنه قال:

- حسنا.. لنعتبر أن هذا ما حدث.. لماذا لم يحدث شيئاً عندما قمت بجذب كتاب أخر أو عند إعادة الكتاب إلى مكانه فلا ريب أنك استندت أنت الأخر على أحد أجزاء المكتبة عند سحب الكتاب..

فقال مدحت وقد تشبث أكثر برأيه لأنه كان يظن أنه بالفعل سوف يصل إلى سبب تكوين هذه الفجوة:

- ليس بالضرورة أن يكون كلانا قد استند على نفس المكان..

ثم توجه إلى المكان الذي سحب منه الكتاب..

كان في أقصى يسار الغرفة وكانت المكتبة مبنية من خشب عتيق ومحلاه بعدة زخارف في أركانها..

أخذ مدحت يمر بيده على الرفوف وعلى الألواح العمودية إلى أن وصل إلى مكان أحد الزخارف على أحد الألواح وفجأة عادت الفجوة للانغلاق..

ظهرت الفرحة على وجه مدحت ومجدي معاً وحلت محل الخوف والهلع الذي كانا يعتريانهما فقام مدحت بالضغط على النقش مرة أخرى فقام ركن المكتبة في الحائط الأيمن في التحرك وتكونت الفجوة مرة أخرى، قام مدحت بالضغط على النقش عدة مرات في سرور وكأنه طفلاً اكتشف لعبة جديدة..

كانت حالة الهلع التي يشعران بها من هذا الأمر هي السبب الحقيقي لما يفعله مدحت..

كان كالتائه الذي ظهر له فجأة طريق النجاة..

ضحك مجدي قائلا:-

- هكذا.. تتضح الأمور.. انظر فيما كنا نفكر؟!!

ثم اكتسى صوته ببعض القلق وهو يقول:

- ولكن ما الذي يقع خلف هذه الفجوة بالضبط؟

نظر له مدحت في قلق مماثل وهو يقول:

- لست أدري بالضبط ولكن..

قطع كلامه وهو يقترب من الفجوة وينظر إلى داخلها في تلصص وكأنه يخشى أن يخرج منها شيء يختطفه..

كانت عبارة عن غرفة تكاد تماثل الغرفة التي يقفان فيها في الحجم..

كان هذا أول ما لاحظه مدحت على الرغم من أنه لم يكن يرى الغرفة فيما خلف الفجوة بالكامل إلا أنه استنتج ذلك، كانت الإضاءة في الغرفة معتمة إلا من بعض الضوء الذي يسري لها من غرفة المكتبة لذا لم يستطع لأول وهلة أن يحدد بالضبط طبيعة الأشياء داخلها لذا عاد برأسه إلى غرفة المكتبة وهو يقول لمجدي:

- تعالى لنرى ما داخلها..

ولكن مجدي قال في حالة من التوتر:

- قل لي أولا ماذا رأيت داخلها..
- لا شيء غير معتاد..

قال مدحت ذلك ثم خطا إلى داخل الفجوة.. فنظر مجدى حوله مرتبكاً لا يدري ماذا يفعل إلا أنه أتخذ قراره سريعاً وخطا خلف مدحت إلى داخل الفجوة..

***

ما أن خطا مدحت إلى داخل الفجوة (الغرفة) حتى مر بيده على الحائط بجواره باحثا عن مفتاح للاضاءة.. فصحيح أن بعض الضوء كان يسري إليها من غرفة المكتبة إلا أنه لم ينير من عتمة الغرفة فيما خلف الفجوة إلا أقل القليل لذا أخذ يبحث ويبحث حتى وجده بالفعل وما أن قام بالضغط عليه حتى أضيئت الغرفة من فورها..

ومع إضاءة الغرفة شعر بانبهار حقيقي يعتريه فقد كانت الغرفة عبارة عن متحف صغير يحوي بين جنباته العديد من اللوحات التي تبدو عريقة وغالية الثمن.. بشدة..

أخذ مدحت يتأمل في اللوحات في انبهار حتى أخرجه مجدى من انبهاره هذا عندما قال:

- ما هذا بالضبط؟

نظر له مدحت في ترقب ثم نظر في اتجاه نظرته ولكنه لم يجد شيئا غريبا فقال له:

- ماذا تعني.. إني لا أرى أمرا غريبا..!

فقال مجدي في تبرم:

- هذا هو الذي أعنيه.. فأنا لم أكن أتوقع هذا على الإطلاق.. إنها مجرد غرفة لحفظ اللوحات..

قال هذا ثم خرج من الغرفة مرة أخرى إلى غرفة المكتبة فتبعه مدحت قائلا:

- وماذا في هذا؟.. أنت تعلم أن هذه الفيلا قديمة جداً وهذه البنايات القديمة تحوي أحيانا أشياء مثل ذلك حتى أني لا أتعجب إن وجدنا أكثر من غرفة سرية في المكان..

فقال له مجدي:

- حسنا.. حسنا.. ماذا سوف نفعل الأن؟

نظر له مدحت ولم يدري ماذا يقول للحظة قبل أن يقول:

- بما أننا قد عثرنا على هذه الغرفة يجب أن نرى ما الذى تحويه بالضبط..

فقال له مجدي:

- ما الذى تحويه؟!.. إنها مجرد لوحات..!
- حسنا لنتأمل في هذه اللوحات فهي تبدو أعمالا ثمينة و....

هنا توقف عن الكلام وتاه في أفكاره للحظة.. فقال له مجدي مندهشا:

- ماذا دهاك؟؟

ثم نظر فيما حوله متوجسا وهو يقول:

- هل حدث شيئا مرة أخرى؟؟

كانت هذه الفيلا تسبب له توجسا تاما حتى أنه تعجب في داخله لماذا مازال يقضى ليلته داخلها حتى هذه اللحظة حتى أنه قال لمدحت:

- كفى بنا ما حدث هنا هذه الليلة.. أنا ذاهب..

قالها وقرن قوله بالفعل.. وخرج..

فتبعه مدحت وهو يقول:

- ماذا بك اليوم.. أتصبر على الأمر حينما يكون مبهما ثم تترك المكان حينما يتضح لك؟!

فقال مجدي وهو يجد في السير تجاه باب الخروج:

- إن الأمر محبط ومحطم للأعصاب لأقصى حد.. إنى أتوقع أن يحدث شيء في أية لحظة..

وبمجرد ما أن انهى كلماته حتى انطفأت الإضاءة في المكان كله، ارتعد لحظتها مجدي كما لم يرتعد من قبل في حياته حتى أنه صرخ في مدحت قائلا:

- هيا بنا إلى الخارج.. هيا بنا الى الخارج..

ولكن مدحت الذي كان أكثر منه اتزانا قال:

- ماذا بك.. تعالى هنا.. لا ريب إنه انقطاع مؤقت وسوف تعود الاضاءة قريبا.. ألم تنقطع الاضاءة قبلا؟؟

فقال مجدي الذي كان كل ما يبغيه أن يفر من هذا المكان:

- بلى.. ولكن هذه الفيلا لها تأثير سيء بشدة..

اقترب منه مدحت وجذبه من يده فقال مجدي مرتعشا:

- ماذا؟.. ماذا هناك؟

فقال مدحت:

- إنه أنا.. اهدأ..

فقال مجدي فى غضب:

- وكأني كنت أنقصك أنت الأخر..

فقال مدحت:

- تعالى معي إلى المطبخ فقد رأيت به بعض الشموع..

سارا على حذر إلى المطبخ في خوف من أن يتعثرا بأي شيء من أثار الهدم فيفقدا توازنهما ويسقطا ولكن الاضاءة عادت مرة اخرى في اثناء سيرهما فتوقفا ومدحت يقول:

- حسنا.. ألم اقل لك؟

ثم تركه وذهب إلى المطبخ مرة أخرى فقال مجدي مندهشا:

- لماذا تذهب إلى المطبخ اذن؟؟

فقال مدحت :

- لأحضر شمعة على سبيل الاحتياط..

فقال مجدي:

- لا داعى لهذا.. إن معى مصباحا..

توقف مدحت في مكانه ثم نظر في دهشة شديدة إلى مجدي قبل أن يقول:

- معك مصباحا؟!!.. إذن لماذا لم تضيئه حينما أظلمت الفيلا؟

شعر مجدي بالحرج ولكنه أجابه قائلا:

- احم.. أقصد.. لم افكر جيداً وقتها..
- إنه الخوف.. اترى.. عندما نخاف لا نفكر جيدا.. أثبت هكذا وهيا بنا إلى الأعلى مرة أخرى..

كانا في اثناء الحوار السابق قد هبطا من الطابق الثاني إلى الطابق الأول فقال مجدي:-

- حسنا.. ولكني أتمنى ألا يحدث أي شيء أخر..

لم يعلق مدحت وهو يصعد إلى الطابق الثاني ومجدي خلفه..

***

داخل الغرفة السرية خلف غرفة المكتبة وقف الاثنان يتأملان في اللوحات المعلقة على الحائط، كان مدحت يتأمل في اللوحات في انبهار أما مجدي فكان ينظر إليها في تململ ظاهر..

ظلا هكذا لبعض الوقت قبل أن يقول مجدي:

- لقد نسيت..!.. ذكرني لما صعدنا إلى هنا مرة أخرى؟؟!!!

قالها بلهجة تعجبية يعتريها الكثير من التهكم فقال مدحت وهو ما زال يتأمل فى اللوحات:

- اهدأ.. لقد صعدنا لنرى اللوحات ألا تريد أن تتأمل في هذه اللوحات النادرة؟

نظر مجدي إلى اللوحات في عدم فهم قبل أن يقول:

- لا أرى ما الداعي لهذا؟.. أتفهم في الرسم؟

قال مدحت وهو ما زال يتابع اللوحات ببصره:

- إن الأمر لا يستحق أن تكون متعمقاً في الرسم إن الفن الجيد يعبر عن نفسه..

نظر له مجدي في دهشة قبل أن يقول:

- أه.. حسنا..

كان يشعر بالكثير من التوجس يسري في داخله ولا يملك له إيقافاً حتى أنه فكر للمرة الثانية أن يخرج من الغرفة إلا أن هذه الفكرة لم تستقر في رأسه إلا قليلاً لأن مدحت أخرجه منها بقوله:

- يا الله ما كل هذه الروعة.. أنظر.. أنظر..

التفت مجدي إلى الجهة التي ينظر إليها.. كانت لوحة عادية لا تستحق كل هذا الانبهار.. هكذا رأها مجدي لأول وهلة حتى أنه قال لمدحت:-

- لما كل هذا الانبهار؟.. إنها لوحة عادية مثلها مثل غيرها..

ولكن مدحت وضع يده على مؤخرة رأس مجدي ودفعه ليقترب أكثر من اللوحة قائلاً:

- أنظر في هذا الوجه.. ألا يذكرك بشيء؟

تملص مجدي من يد مدحت وهو ينظر إلى الوجه في حيرة قبل أن يقول:

- لا..
- أنظر جيداً..
- لا يذكرني بشيء..
- لا ريب أن الأحداث في هذه الليلة قد أربكتك..

نظر له مجدي في تبرم قبل أن يقول:

- حسنا.. ما المفترض أن أتذكره حينما أنظر إلى هذا الوجه؟

فقال مدحت في هيام:

- هيام..

نظر مجدي إلى مدحت في دهشة ممتزجة ببعض الحيرة من هذا الهدوء الذي يتعامل به قبل أن يقول:

- ربما.. أنت أدرى..

ثم بلهجة أكثر تصميماً:

- ألم يأن الأوان أن نخرج من هذه الغرفة النحس أم ماذا؟؟

قال له مدحت وهو يقترب من اللوحة ويحملها من على الحامل المعلقة عليه:

- دعني أتأمل فيها قليلاً..

وبالفعل أخذها وتوجه بها نحو الباب الذي يصل إلى غرفة المكتبة حيث الإضاءة أكبر من هذه الإضاءة الخافتة التي تسري في هذه الغرفة.. ولكنه توقف في طريقه إذ لاحظ شيئاً غريباً..

شيئاً قد يقلب كل الموازين...

***

(الفصل الرابع)

"الثانية صباحا"

- هل رأيت هذا؟.. أم اننى اتخيل؟!..

قالها مجدي لمدحت الذي وقف مذهولا غير مصدق ما تراه عيناه..

كان الحائط الذي يشكل جانب الغرفة الأيمن يتحرك..

ظن في بداية الأمر عندما رأه أنه يتخيل أو يهلوس حتى من الجو القابض الذي يسري في هذه الفيلا ولكن سؤال مجدي هذا جعله يوقن أنه يرى ما يراه حقا ولا يتخيل..

- كيف هذا؟!

قالها في دهشة متوجسة قبل أن يهرول تجاه الحائط ويحاول أن يدفعه لكي يوقف تحركه..

حاول.. وحاول.. ولكن دونما فائدة.. فنظر خلفه لينظر أين ذهب مجدي ولكن مجدي في هذه اللحظة كان لاهيا عنه يتأمل في الحائط الأيسر للغرفة الذي يتحرك بدوره مما يشكل مصيدة ليس لهم منها فكاكا إلا عن طريق .....

هنا صرخ في مدحت قائلا:

- الفجوة.. لنقفز عبر الفجوة..

قال مدحت وهو يدفع الحائط بظهره بكل قواه في محاولة يائسة منه لمنع تحركه:

- أية فجوة؟!!.. يبدو أنها أغلقت بمجرد أن تحركت الحوائط!
- ماذا تعني؟.. بالله عليك ماذا تعني..؟

قالها مجدي في جزع حقيقي هذه المرة وهو يحاول دفع الحائط الأيسر بكل قواه ليوقف تحركه إلا أنه لم يفلح..

كانت الجدران تندفع تجاه بعضها في سرعة مشكلة منفذاً أكيداً إلى الموت.. هكذا فكر مدحت الذي ما ظن لحظة في حياته أنه قريبا من الموت مثل هذه اللحظة..

أما مجدي فكان يهرول بين الجدارين يحاول دفع أحدهما وحين يجد نفسه لا يفلح يتجه نحو الجدار الأخر.. كان يسعى بكل جهده لأن يجد حلا لهذا الموقف الغريب ولكن الجدران كانت تتحرك برغم كل محاولاته..

نظر إلى السقف وإلى جوانب الغرفة الأخرى عله يجد طريقة للنجاة ولكنه لم يجد أي منفذ.

كان الجداران يقتربان من بعضهما حتى أن المسافة فيما بينهما لم تكن تتعدى في هذه اللحظة سوى متر واحد.. وقف فيه مجدي ومدحت ينظران إلى بعضهما بنظرات زائغة ولا يدريان حقاً ماذا عليهما أن يفعلا..

ارتكن مجدي إلى أحد الجدارين الثابتين وجلس على أرضية الغرفة..

- انها النهاية لا ريب.. لم أكن أتخيل يوماً أنني سوف أموت بهذه الطريقة.. أموت منسحقا!.. كالصرصور.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله..

كان مدحت ينظر إليه في هلع ولكنه لم ينطق ببنت شفة والجداران مستمران في الاقتراب، كان الهلع وكأنه أصابه بحالة من الشلل لم يتمكن من خلالها إلا في التحكم في عينيه ومخه الذي ينتظر النهاية الأليمة.

ظل الجداران يقتربان ويقتربان حتى أصبح الوقوف شبه متعذر ثم فجأة..

توقف كل شيء..

توقف كل شيء.. وسط دهشة مدحت ومجدي الذي وقف في مكانه بصعوبة – لأن أكتافه كانت تحتك في الجدارين حوله – وهو يقول لمدحت:

- ماذا فعلت؟.. كيف أوقفت تحرك الجدارين؟

نظر له مدحت غير مدرك في بداية الأمر ولكن حالة الشلل المؤقت التي كان يعانيها تلاشت فجأة مع اطمئنانه لتلاشي الخطر فقال:

- لست أدرى.. أنا لم أفعل شيئا..
- أمتأكد أنت من ذلك؟
- تمام التأكد..!

نظر مجدي فيما حوله وقال:

- إذن ماذا الأن؟

نظر له مدحت بنظرة متوجسة قبل أن يقول:

- الأن علينا أن نحرك هذه الجدران بأي طريقة ممكنة..

فقال مجدي مكملا كلامه..

- نعم حتى لا نصاب بانهيار في الاعصاب فوق الانهيار الذي نشعر به حاليا بالفعل..

فقال مدحت :

- ليس هذا ما اقصده.. بل أقصد الهواء..

نظر له مجدي في حيرة غير مدركاً لما يقصد لذا ساله:

- أي هواء؟

فقال مدحت بصوت ملتاع:

- الهواء!.. الهواء الذي نتنفسه..
- ماذا به؟

سأله مجدي في دهشة فقال مدحت:

- إنه ينتهي مثلما ينتهي أي شيء أخر.. ألم تدرك هذا بعد؟ نحن الأن نقف في فراغ ممتليء بالهواء ولكنه يتقص مع كل نفس نتنفسه وبعد بعض الوقت سوف ينتهي..

نظر له مجدي بنظرة متوجسة قبل أن يقول:

- أتقصد..

لم يكمل جملته التي أكملها له مدحت قائلا:

- نعم.. لقد نجونا من الموت سحقا لنموت اختناقا..

نظر له مجدي في ذهول ولم يضف كلمة..

***

كان الأمر يزداد سوءا في كل لحظة تمضى، ولم يكن بايديهما شيئا ليفعلاه لذا جلسا كلاهما على الأرض بجوار اللوحة التي كان يحملها مدحت في يده طوال هذا الوقت.. كان يحملها حتى عندما كان يدفع الجدار محاولا ايقافه.. كان يحملها في يده وكأنها جزءا منه..

ربما لأنها كانت تذكره بهيام حبيبة قلبه التي كانت وبمجرد أن يذكرها تلهمه الصبر والأمن في أقصى اللحظات..

أو ربما لأنه كان يتعامل معها وكأنه يتعامل مع هيام نفسها في الحقيقة التي ما كان ليتركها مهما حدث..

هناك ارتباط أحيانا ما يوجد فيما بين الأشياء بعضها ببعض ولا ندري كنهه.. ولكننا لا نملك إلا أن نعترف بأنه متواجد..

فأحيانا ما تجد نفسك تحب أشياء وتدافع عنها بالقول والفعل لمجرد أنها تذكرك بشخص أو بشيء كنت تحبه سابقا أو ما زلت تحبه..

وأحيانا أخرى تجد نفسك تبغض اشياء وتهرب منها بشتى الطرق – ولا أقول هنا تحاول ابادتها أو التسبب لها بالأذى وإن كان هذا يحدث في بعض الأحيان – لمجرد أنها تذكرك بشخص أو شيء كنت تبغضه سابقا أو ما زلت تبغضه ..

ربما لهذا نقابل أشخاصا لأول مرة ونجد أنفسنا نحبهم ونتعلق بهم ونتفاعل معهم دون أن ندرى لذلك سببا.. بينما نقابل أشخاصا أخرين لا نستطيع أن نحبهم أو نتفاعل معهم مهما حاولنا..

ربما لهذا السبب كان يتعلق بالصورة ولا يتركها من يده.. ببساطة لأنه ما كان ليترك هيام تصاب بأذى ولو صغير ولو عرضه ذلك لأحلك المواقف..

كان يحبها بشكل رومانسى حالم..

وكان في قلبه يحمل مشاعر محب من زمن الحب الجميل..

ربما كانت لا تلائم العصر الذى يعيش فيه..

ولكنها كانت متواجدة داخله.. وكانت ملائمة له..

وهذا يكفيه..

ولكنه رغم ذلك وضع الصورة على الأرض وجلس يفكر فيما سوف يفعله ليخرج من هذه الأزمة التي لم تخطر له على بالٍ قط..

أما مجدي فكان في حال أخر.. كان يشعر أن عقله لا يستطيع العمل بكفاءة.. لا يستطيع أن يفكر.. كان يشعر منذ البداية أن هذه الفيلا مليئة بالمصائب.. وكثيراً ما فكر أن يرحل.. ولكنه قدره..

كما أنه كان لا يستطيع أن يترك مدحت وحده في الفيلا.. وكان يعلم أن مدحت لن يترك الفيلا إلا عندما يعرف سببا لما يحدث أو ييأس تماما من الوصول لهذا السبب..

هذا هو مدحت..

ولكن هذا الأمر يختلف عن أي أمر واجهه في حياته أو واجهه مدحت..

كان يعرفه منذ الصبا ويعرف كل شيء عنه.. كان يعتبره كاخيه ولكن الأمر هكذا فاق الحد بالفعل..

ولكن هذا ليس وقت التفكير في هذا..

ماذا سوف نفعل..؟؟

ماذا سوف نفعل؟؟

أخذ السؤال يتردد في عقله دون أن يجد له اجابة.. هنا تكلم مدحت قائلا:

- إن هذا الأمر يحمل في طياته اشياء كان يجب أن نفكر فيها قبلا..

نظر له مجدي متسائلاً قبل أن يقول:

- أى أمر؟
- أمر المهندس محمود.. الذى أصر على أن يستأجرنا للعمل لديه على الرغم من أنه يملك مكتباً متخصصاً في هذه الأعمال..

نظر له مجدي في دهشة وقال في حدة:

- أهذا وقت الكلام في هذا الأمر بالله عليك.. إننا نقترب من الموت..

فقال مدحت:

- أليس هذا أفضل من التفكير في الموت؟

نظر له مجدي في تقزز وفكر أن يلطمه، كان الأمر يؤثر على أعصابه بشدة لكنه على الرغم من ذلك تمالك نفسه أو فلنقل لم يهن عليه مدحت لهذه الدرجة لذا قال:

- حسنا.. فلنفكر في سبب لما يحدث هنا.. ربما نجد سبيلاً للخروج من هذا المأزق..

فقال مدحت وقد راقه ما قال مجدي:

- إن معك كل الحق في هذا..

ثم تأمل في الفراغ الذي يجلسان فيه قبل أن يقول:

- هل تظن أن سبب ما حدث هو شيء فعلناه أم هي..

ثم سكت فقال مجدي:

- تقصد قوى غير طبيعية.. أشباح.. جن.. لماذا تخاف أن تذكرها.. نعم أظن أن ما حدث ربما يكون بفعل قوى غير طبيعية بأي شكل من أشكالها..
- وربما لا..
- إذن لما يحدث كل هذا؟

نظر له مدحت ثم نظر فيما حوله مرة أخرى قبل أن يقوم من مكانه – بصعوبة – قائلا:

- إن هناك أمرا أفكر فيه لو صدق ربما يخرجنا مما نحن فيه..

فقال له مجدي في لهفة:

- وما هو بالله عليك؟

نظر له ثم انحنى والتقط اللوحة واقترب من الجزء المواجه من الحائط عن طريق جعل جسده متوازيا مع الجدارين المتقابلين حتى وصل إلى النقطة التي يبغيها ثم عدل من وضعية جسده ثم رفع اللوحة ووضعها على حامل التعليق الخاص بها والتي كانت موضوعة عليه قبلا.. وبمجرد أن فعل ذلك وفي نفس اللحظة تحركت الجدران متباعدة عن بعضها في بطء..

أطلق مدحت صيحة فرح اقترنت بصيحة أخرى اطلقها مجدي وهو يقترب منه ويحتضنه بشدة قائلا:

- ما هذا الذكاء؟.. ما هذه العبقرية؟!.. كيف فكرت في ذلك..؟؟

فقال مدحت بصوت مرتعش من فرحته:

- لقد فكرت في الأمر من زاوية مختلفة عن زاوية "أن ما يحدث يحدث بواسطة قوى غير طبيعية" التي تصر أن تؤمن بها هذه.. وفكرت أن الجدران كانت تتحرك بوسيلة ميكانيكية نتيجة لمحفز ما.. وكأنك تضغط على زر لتشغيل آلة.. وعندما توصلت بفكري إلى ذلك قلت لنفسى "لو كانت هذه الفكرة صحيحة إذن هناك شيئا فعلناه سبب ما حدث" فراجعت ما قمنا بفعله خطوة بخطوة حتى توقفت عند حملي للوحة من مكانها.. فخمنت أن هذا قد يكون السبب لذا حاولت أن أعيدها إلى الحائط مرة أخرى على سبيل التجربة وقد أفلح ذلك كما ترى..

نظر له مجدي في دهشة بالغة قبل أن يقول:

- أنت بهذا القول تجعلني أظن أني مفغلا كبيرا.. إنه امرا بسيطا بالفعل..!
- ومن قال أنك غير ذلك؟!!

قالها مدحت فنظر له مجدي في حدة قبل أن يضحك قائلا:

- حسنا يا استاذ عبقري.. مقبولة منك..

فقال مدحت :

- أنا أمزح معك..
- اعرف..

قالها مجدي ثم تلفت حوله قبل أن يقول لمدحت:

- حسنا.. لنخرج من هنا..

فقال مدحت:

- أه.. إن هذا هو الأمر الصعب..

نظر مجدي في هذه اللحظة إلى مكان الفجوة التي دخلا منها والتي كانت تنكشف شيئا فشيئا مع تحرك الحوائط عائدة لمكانها.. إلا أنها لدهشته كانت مغلقة..

مغلقة كقلب كافر ميئوس منه أمام الهداية..

***

جلس مجدي يائسا بأحد أركان الغرفة وبجواره جلس مدحت ساهما..

ظلا صامتين لبعض الوقت قبل أن يقول مدحت:

- والأن ماذا؟

فأجابه مجدي بنظرات ساهمة

- يعلم الله .. ألست أنت من أخرجنا من المأزق السابق؟.. فلتخرجنا من هذا.. أم انك لا تملك فكرة؟
- أتسخر في موقف كهذا؟؟
- ومن قال أني أسخر.. إنك الليلة ملهما بشكل غير مألوف ولو كنت مكانك لاستغللت ذلك..
- وكيف..؟
- بأن ابحث عن حل لما نحن فيه..

ثم سكت قليلا متفكرا في أمر ما ثم قال:

- أسمع.. أليست الأبواب والحوائط في هذه الغرفة تتحرك بصورة ميكانيكية..

نظر له مدحت غير مدرك لما يرمي إليه بالضبط ولكنه سايره قائلا:

- بلى..

فقال مجدي:

- إذن لما لا نحاول تحريكها أو البحث عن كيفية تحريكها والعمل على ذلك؟
- ولكنها مدفونة في الجدران.. أقصد الوسائل الميكانيكية التي تحركها.. فهل نقوم بتكسير الحوائط لنجدها؟!.. إنها فكرة عقيمة..
- إذن ماذا نفعل؟

قالها مجدي في يأس فقال مدحت في حيرة:

- لست أدري حقا..

جلسا صامتين لفترة قبل أن يقول مجدي:

- انتظر.. أنا أفكر في شيء لو صدق لربما نخرج من هنا..

ثم بلهفة قال:

- ألم نحرك الباب من الخارج عن طريق نقش في المكتبة؟

أجابه مدحت قائلا:

- بلى..

فقال مجدي:

- وألم نحرك الجدران ونعيدها إلى أماكنها عن طريق صورة تم تحريكها من موضعها؟

فقال مدحت في تبرم هذه المرة:

- بلى.. إلى ما ترمى بالضبط؟
- إن الأمر واضح.. طالما الباب يتحرك من الخارج عن طريق زر يختبيء في الحائط على هيئة نقش في المكتبة والجدار يتحرك عن طريق تحريك الصور من مواضعها فلا ريب أن هناك طريقة تفتح الباب من داخل هذه الغرفة..

فقال مدحت على الفور:

- وما الذى يدريك أن الباب لا يفتح إلا من الغرفة الخارجية فقط.. بل على العكس إن هذا هو التفكير المنطقي.. فمن فعل ذلك في هذه الغرفة فعله لحماية هذه اللوحات فاذا ما استطاع لص أن يدخل إلى الغرفة لسرقة اللوحات فإنه يعلق بين الجدران مثلما فعلنا واذا ما اعاد اللوحة إلى مكانها فإن الحوائط تنزاح ولكن الباب يظل مغلقا لحين حضور من يقبض عليه.. فلماذا يضع وسيلة لفتح الباب من داخل الغرفة.. ليهرب اللص؟؟
- بل لحماية نفسه..
- إنك تفكر بغرابة حقا هذه الليلة..

قالها مدحت وحاول أن يقوم من جانبه إلا أن مجدي جذبه ليجلس مرة أخرى وهو يقول:

- اسمعنى فقط.. إن من فعل هذا بالتأكيد قد وضع في اعتباره تأمين لفتح الباب من داخل الغرفة.. إذ ربما يستطيع اللص بعد فتح الباب عليه من الخارج أن يتغلب عليه ويحبسه داخلها خاصة أنه طالما دخل إلى هذه الغرفة فهو يعرف بالضرورة طريقة فتح الباب وغلقه وبالتأكيد أن الحوائط عندما تتحرك تقوم باصدار جرس للتنبيه أو انذار في مكان ما من الفيلا ينبه صاحبها أن هناك اقتحاما قد حدث..

فأكمل له مدحت قائلا:

- نعم.. وهذا ما يجعله يتصل بالشرطة ليأتوا مسرعين ليقبضوا على اللص وهذا ما يجعله لا يحتاج إلى وضع طريقة لفتح الباب من الداخل..

فقال مجدي مؤكدا على وجهة نظره:

- بل على العكس.. إذ ما الذي يدعو أحدا لصنع غرفة سرية كهذه إلى الاتصال بالشرطة هل ليفضح وجودها؟؟.. فكل من في الفيلا إذا ما جاءت الشرطة وربما بعض الجيران سوف يعلمون بأمرها وطريقة فتحها.. لا.. إنه سوف يعتمد على تحطيم أعصاب من يقوم بالسرقة أولا عن طريق الجدران ثم يقبض عليه في سلاسة..

فقال مدحت:

- هذا يعيدنا إلى البداية.. إذا كان يعتمد على تحطيم أعصاب اللص فإنه لا يحتاج إلى وسيلة لفتح الباب من الداخل..
- أنت مثبط للعزيمة..

قالها مجدي في غضب فقال مدحت من فوره:

- لماذا الغضب؟.. ألسنا نتناقش؟

فقال مجدي في حدة:

- حسنا.. فلتجد أنت طريقة لنخرج بها..

فقال مدحت وقد لان نوعاً:

- حسنا لنجرب طريقتك.. ربما تكون على حق..

فقاما من مجلسهما وأخذا يتنقلا بين اللوحات بحثا عن شيء يخرجهما مما هما فيه..

***

(الفصل الخامس)

"الثالثة صباحا"..

- ما يقلقني.. أننا لو حركنا شيئا من موضعه ربما يفعل أمرا مختلفا عما نبغيه..

قالها مدحت وهو يبحث عن شيء في الغرفة يصلح لأن يفتح الباب المغلق فقال له مجدى وهو يفعل المثل:

- فلنعتمد على الله.. المهم أن نجد ما نبتغيه..

أخذا يبحثا ويبحثا دون أن يهتديا إلى شيء.. ظلا هكذا لفترة قبل أن يجلس مدحت في أحد أركان المكان وهو يقول:

- ألم أقل لك.. لا يوجد شيء..

ظل مجدي يبحث حتى وصل إلى موقع الباب فأخذ يمر بيده وناظريه حول اطاره حتى وجد شيئا غريبا..

وجد شبه تجويف صغير لا يلحظ إلا إذا اقتربت منه.. ما أن رأه مجدي حتى قام بالنداء على مدحت الذي أتى إليه مسرعاً وهو يقول:

- ماذا.. ماذا هناك؟.. هل وجدت شيئا؟

فأجابه مجدي في صوت ملهوف:

- نعم.. تعالى.. انظر..

فأتى إليه مدحت ونظر إلى التجويف قبل أن يقول:

- يبدو أنك كنت على حق بعد كل شيء..

ثم مد اصبعه وحاول أن يعالج التجويف.. ولكن التجويف كان من الضيق بحيث أن اصبعه لم يدخل فيه.. فنظر إلى مجدي قائلا:

- إنه يحتاج إلى أداة رفيعة..

أخذ يبحث في جيوبه ليجد شيئا يصلح للضغط بداخل التجويف ولكنه لم يجد شيئا.. هنا ازاحه مجدي قائلا:

- فلتترك لي الفرصة..

ثم مد يده وادخل قلما عاديا في يده إلى داخل التجويف وضغطه داخله وما إن فعل ذلك حتى انفتح الباب فساد الفرح بينهما ومدحت يقول :

- إنك ذكي جدا.. كيف لم يخطر ببالي أن استخدم القلم..

فقال مجدي على الفور:

- لا يهم هذا الأن.. المهم أننا نجونا..

ثم خرجا من الغرفة وهما يحمدان الله على نجاتهما..

ما أن خرجا من الغرفة حتى هرولا كالملسوعين إلى الطابق الأرضى وجلسا في بهو الفيلا، كانا يشعران بشعور أسير تم تحريره بعد سنوات من العذاب حتى أنهما وبمجرد ما أن هدءا قليلاً حتى قام مجدي وتوجه إلى باب الخروج فنظر له مدحت في دهشة وهو يقول:

- إلى أين أنت ذاهب؟

فقال مجدي في استنكار:

- ألم يكفيك كل ما حدث؟.. لسوف أعود إلى بيتي..
- فى تلك الساعة؟
- وماذا في هذا.. لسوف أجد أي وسيلة للمواصلات وأعود..

نظر له مدحت في عجب قبل أن يقول:

- لست أقصد هذا.. بل اقصد أن الساعة الأن الثالثة أى لم يبقى على الفجر وبزوغ الشمس سوى بضع ساعات ألا نصبر هذه الساعات القليلة.. خاصة أنه لم يحدث أي شيء غريب..

ما أن قال ذلك حتى شعر مجدي بدهشة شديدة تعتريه ممتزجة بالكثير من الحيرة حتى أنه قال:

- ماذا؟.. ماذا تقول.. يبدو أنني لم أسمع جيداً..

فقال مدحت:

- ماذا؟.. لقد قلت أن شيئا لم يحدث حتى الأن..

فقال مجدي:

- شيئا لم يحدث حتى الأن؟!.. وماذا عن ما حدث في غرفة المكتبة؟.. ألا يعد هذا شيئا قد حدث من وجهة نظرك؟

فقال مدحت ضاحكاً:

- لا.. لقد فهمتني خطأ بشدة.. أنى أقصد أن لا شيء يمت بصلة للأشباح أو أي قوى خارقة أو غريبة قد حدث..
- بعد

قالها مجدي فنظر له مدحت غير مدرك لما يقوله حتى أنه قال:

- ماذا تعني ببعد هذه؟

فقال مجدي:

- لا شيء يمت بصلة للأشباح قد حدث..

ثم سكت هنيهة قبل أن يقول:

- بعد.. ما الذي يدرينا أنه لن يحدث في تلك الساعات الباقية؟

فقال مدحت:

- فلتهدأ وتجلس أم أنك سوف تتركني ها هنا وحيدا؟

فقال مجدي في توتر:

- سوف تتركني هنا وحيدا!.. سوف تتركني هنا وحيدا.. وكأنك طفل أقوم بتربيته.. فلتتركني أرحل بالله عليك..

فقال مدحت في غضب:

- حسنا.. أنت وشأنك..

أحس مجدي بالانزعاج بشدة عندما قال مدحت ذلك حتى أنه عاد وجلس على مقعده وهو يقول:

- إنه قلبي الذي يقودني إلى المهالك.. ها قد جلست على الرغم من أني أشك أنى لن أخرج من هذه الفيلا سالما مرة أخرى..

فقال له مدحت في فرح:

- لا تكن متشائما..

ثم قام من مقعده وتوجه إلى المطبخ الملحق بالطابق الأرضى ليصنع كوبين من الشاى لقضاء بقية السهرة، وفي هذه الأثناء كان مجدي يبحث في الحقائب التى جلباها معهم عن أي طعام ليسد به جوعه الذي كان يشعر به وكأنه لم يأكل منذ عام على الرغم من أنه قد أكل مع مدحت في الحادية عشرة مساء ولكن يبدو أن الأحداث التي حدثت قد ساعدت على سرعة هضم الطعام.. وجد شطيرة أخذ يقضم منها مستمتعا قبل أن يقف الطعام في حلقه ويشعر برجفة غريبة قام على أثرها مرتعدا من مكانه عندما سمع الصرخة..

***

- ما الذى حدث..

قالها مجدي في فزع قبل أن يهرول تجاه المطبخ فوجد مدحت ينظر في ذهول إلى صنبور المياه الذي تنسال منه الماء في غزارة.. فمد مجدي يده وأغلق الصنبور قبل أن يقول لمدحت:

- ماذا بك؟.. لماذا صرخت هكذا؟

فقال مدحت وهو ما زال على حالة ذهوله:

- لقد فتحت الصنبور لاقوم بصنع الشاي ولكن بدلا من أن يسقط ماءا كالمعتاد أسقط.. أسقط..

تلعثم مدحت في الكلام فقال له مجدي مهدئا وهو يطبطب بيده على كتف صديقه:

- اهدأ هكذا واجبني.. ما الذي اسقطه بالضبط؟
- دماء..

قالها مدحت على الفور فقال مجدي غير مكترث:

- أه.. هذا ما كنت اتوقعه..

ثم تركه وعاد إلى بهو الفيلا..

تحول الهلع والقلق في نفس مدحت إلى دهشة شديدة مما دفعه لأن يتبع مجدي إلى الخارج وهو يقول:

- ما الذي تعنيه بلفظة.. هذا ما كنت اتوقعه هذه؟

فقال مجدي:

- هذا بالفعل ما كنت اتوقعه فأنت ومنذ البداية تتعامل مع الأمور ببرود غريب يثير التوجس في النفس فكان يجب من أن ترى شيئا غريبا تنفرد به ..

نظر له مدحت لبرهة غير مدرك لما يقوله قبل أن يقول له:

- أفهم من هذا أنك لا تصدقني؟

فقال مجدي في تبرم:

- أنت لا تطاق هذه الليلة هل ذكرت شيئا عن عدم تصديقك أنا أصدقك بالطبع وانتظر منك كلمة أريد سماعها من أول الليلة.
- وما هي هذه الكلمة..
- كلمة هيا بنا نذهب من هنا..

فقال مدحت:

- لا تكن أبلهاً وتعالى معي ألى المطبخ لنرى سببا لما حدث..

نظر له مجدي في دهشة شديدة قبل أن يقول:

- ألا زلت تصر.. ما أعجبك..

ثم تحرك نحو المطبخ وكل تفكيره يتركز حول أنه يريد لهذه الليلة أن تنتهي بأي ثمن ولو خطا داخل وكر للأشباح..

ولم يكن يدرى أن الليلة ما زالت تحمل في طياتها الكثير على الرغم من أنها قد قاربت بالفعل على نهايتها..

الكثير جدا..

***

داخل المطبخ اقترب مدحت من الصنبور وكأنه يقترب من حتفه..

كان يقدم قدما ويعود بالأخرى في رعدة تعتري كل جسده فنظر له مجدي في دهشة قبل أن يقول:

- طالما أنت مرتعد هكذا.. أذن لما الاصرار؟

فقال مدحت الذي كان فى أشد حالات الهلع:

- فلتصمت واتبعني..

فقال مجدي في استهجان:

- حاضر يا سيدي..

لم يعلق مدحت على ما قاله وهو يقرب يده من الصنبور في خوف وكأن أحدهم سوف يقوم بقطعها.. وما أن لمس الصنبور حتى انقطعت الاضاءة فجأة..

صرخ مدحت وأصابت مجدي رجفة شديدة قبل أن يقول بصوت حاد:

- إن هذه الليلة لن تمر على خير، أنى أشعر أن الله يعاقبنا لأننا ما زلنا داخل هذه الفيلا الشؤم..

فقال مدحت وكان قد هدأ قليلا:

- إنه انقطاع للتيار الكهربي ليس أقل ولا أكثر..

فقال مجدي:

- حسنا.. إنك تتعامل بهدوء احسدك عليه.. لا ادرى حقا كيف تتحكم في أعصابك بهذه الطريقة..
- المهم الأن أين هي؟

سأل مدحت فقال مجدي في دهشة:

- ما هي هذه التي تسأل عليها؟
- البطارية..

قالها مدحت في تبرم فتذكر مجدي البطارية الموضوعة في جيبه فأخرجها واضاءها فخفتت العتمة قليلا فقال في توجس:

- والأن.. ماذا نفعل؟
- سوف نفتح الصنبور بالطبع..
- في هذا الظلام؟

قالها في تعجب شديد وكأن مدحت نطق كفرا.. فقال مدحت:

- نعم.. يجب أن نتأكد..

- من ماذا؟

فقال مدحت:

- من أننى كنت أتخيل..

نظر له مجدي في دهشة متوجسة وظن به الظنون.. أنه يتعامل مع الأمور ببرود غريب وكأنه قد تحول إلى شخص أخر.. إن هذا التصرف غير طبيعى.. غير طبيعى على الاطلا ..

كان الضوء المنبعث من المصباح (البطارية) الذى يحمله مجدي لا يبدد إلا قدراً ضئيلا من الظلمة ولكنه كان يثير التوجس في النفس ربما أكثر من الظلام الدامس ذاته.. فاستعاذ في نفسه بالله قبل أن يقول:

- حسنا.. فلتفتح الصنبور ولننتهي من هذا الأمر

مد مدحت يده وفتح الصنبور وهو يرتجف من داخله.. لم يكن الدم الذي يتوقع أنه سوف ينزل من الصنبور هو سبب هذا الهلع الذي يشعر به، بل اثباته لفكرة أن هذه الفيلا مسكونة هو الأمر الذي كان يثير هلعه.. فهو وحتى هذه اللحظة ورغم كل ما حدث كان ما يزال بداخله أمل أن هذه الامور التي تحدث هي في الاساس عبارة عن خدعة يقوم بها أحد الأشخاص بالاضافة إلى تلك الأمور الغريبة التي واجهاها (مجدي وهو) داخل غرفة المكتبة..

ولكن الصنبور لم يخذله.. فبمجرد ما أن قام بفتحه حتى انسابت منه المياه إلى الحوض اسفله مع زفرة تدل على الارتياح اطلقها مجدي وهو يقول:

- إنها مياه.. مياه صافية..

ثم مد يده وجذب كوبا وملأه بالماء المتدفق من الصنبور وجرعه قبل أن يقول:

- ماء.. مثل جميع المياه التي تسري في المواسير الموصلة لجميع البيوت..
- اذن الأمر كان تخيلا بحتا في النهاية..

قالها مدحت في سرور فقال مجدي:

- يبدو ذلك..
- ولكن..

قالها مدحت وهو يفكر "كيف هذا؟.. لقد رأيت الدماء وهي تتدفق من الصنبور بأم عيني هاتين ولم أكن اتخيل.. كيف اتخيل؟".. ثم تذكر شيئا فنظر إلى كم سترته ثم تراجع خطوة إلى الوراء..

كان مجدي يتابعه في دهشة قلقة إلى أن تراجع هذه الخطوة لم يستطع مجدي التحمل فقال:

- مدحت.. تماسك بالله عليك.. إنك بأفعالك هذه تثير الرعب ربما أكثر من الأمور الغريبة التي تحدث في الفيلا..

فهدأ مدحت نوعا وهو يشير إلى شيء في كم سترته اكتشفه الأن فقط قائلا:

- انظر.. انظر..

فنظر مجدي إلى ما يشير إليه فوجدها مجموعة من البقع الحمراء الصغيرة متناثرة على كم السترة بالقرب من معصم يد مدحت فقال في إندهاش حقيقى:

- وما هذا؟
- إنه الدم..

قالها مدحت في توجس مما أشعر مجدي بالتوتر أكثر وهو يقول:

- أى دم؟

فقال مدحت:

- لقد تذكرت أني عندما فتحت الصنبور ورأيت الدماء تنساب منه تراجعت إلى الخلف في هلع ولكن اندفاع الدماء من فوهة الصنبور كان قويا مما أدى إلى انتشار بعض الرزاز فوق كم السترة وهذا هو الذي رايته واريتك أياه الأن..
- ربما هي بعض بقع الطلاء..

قالها مجدي مفكرا فقال مدحت:

- من أين أتت؟.. لا.. أنا متأكد أنها من الدماء التي انسابت من الصنبور وهذا يدل على أنني لم أكن أتخيل..

فقال مجدي:

- إذن.. لماذا لا تنساب الدماء الأن؟

شعر مدحت بالحيرة وظل يفكر في هذا الأمر إلا أنه لم يجد له تفسيراً واضحاً..

***

(الفصل السادس)

"الثالثة والنصف صباحا"..

عادا إلى بهو الفيلا وجلسا في وجوم.. كان كلا منهما يفكر في أمر خلاف الأخر..

كان مدحت يفكر في هذه الأمور التي تحدث والتي لا يجد لها سبباً منطقيا.. لا يدري حتى هذه اللحظة أن كان بسبب أنهما ليسا أهلا لاكتشاف هذا السبب أم أنه بسبب عدم وجود سبب لما يحدث على الاطلاق..

لم يدري حقا..

إلا أن هذا لم يكن كل ما يشغله.. كان في جانب من عقله احساسا يشغله منذ بعض الوقت ولكنه كان يقاتله في ضراوة.. إلا أنه يشعر الأن أنه لا يستطيع الفكاك من هذا الشعور الذي يضغط على اجفانه بشدة..

ربما لهذا السبب كان متوجها إلى المطبخ لصنع كوبي الشاي الذي لم يصنعهما.. إلا أن الظروف المحيطة والجهد الذي بذله بالاضافة إلى كم التوتر والقلق الذي عاناهما كل هذا وأكثر كان يدفعه للاستسلام.. وبشدة..

هذا بالإضافة بالطبع إلى إنقطاع التيار الكهربي..

كان يشعر أنه يريد النوم.. لذا نظر لمجدي ليرى ماذا يفعل عله يهتدي به لمواصلة السهر..

أما مجدي فكان في واد أخر..

كان كل ما يحدث يثير توجسه والأن أصبح مدحت ذاته يثير توجسه بتلك الأفعال التي يفعلها حتى أنه ظن لوهلة أنه يدعى كل ما يحدث وأنه جلبه معه فقط ليثبت أن هذه الفيلا مسكونة.. إلا أنه ترك هذه الفكرة ورفضها في شدة لعدة أسباب..

أولها أن مدحت لا يمكن أن يفعل ذلك في صديق عمره..

وثانيها أنه لا يستفيد شيئا من فعل ذلك..

إلا أنه علل تفكيره في تلك الأمور بسبب نقص النوم، فبعد اجهاد الصباح والتوتر الذي يعيش فيه والأحداث المتتابعة التي تحدث منذما جاء هو ومدحت لقضاء الليلة كل ذلك وأكثر كان يضخ في داخله رغبة اكيدة في النوم.. ولكنه تماسك ونظر إلى مدحت رغبة في مجاراته، حيث أنه لم يكن يريد أن ينام ويفسد الليلة التي قاربت على الانتهاء وأن كان في داخله يستنكر هذه الفكرة أيضا لأنه كان يرى أن هذه الليلة فاسدة ومن اسوأ الليالي التي مرت عليه في حياته إن لم تكن اسوأ ليلة في حياته على الاطلاق..

كان الإثنان يريدان النوم..

وكان الإثنان يبحثان عن الراحة..

إلا أن الراحة أبت أن تأتي إليهما هذه الليلة..

لقد سمعا صوتا غريبا يأتي من أقصى الفيلا من ناحية الغرفة المغلقة اياها..

ثم شعرا بانهما ينجذبان كل في اتجاه.

ثم غابا في دوامة غريبة ولم يدريا حقا إلى أين هما ذاهبين..

***

الجزء الثالث

(١)

خارج نطاق الزمن

شعر مدحت بأنه يرتفع عن المقعد الذي يجلس عليه، كان الصوت الذي سمعه هو ومجدي والذي أتى من أقصى الفيلا قد جمد الدماء في عروقه وأوقف الأفكار في رأسه بالمعنى الحرفي للكلمة حتى إنه حين وجد نفسه مرتفعا في الهواء ومجدي مرتفع هو الأخر في الجانب المواجه لم يفكر في أي شيء..

كل الذي فعله أنه ظل يتابع ما يحدث وكأنه يحدث لشخص أخر غيره وغير مجدي.. ظل على هذه الحالة حتى ابتدأ عقله في العمل فجأة مثلما ابتدأ كل شيء فجأة..

ومثلما انتهى كل شيء فجأة..

لقد وجد كل شيء يتهاوى..

يتلاشى..

ينتهي..

ووجد نفسه في لا مكان..

لم يجد حوله أى شيء سوى ظلام مبهم غريب كثيف جداً حتى أنه كاد يلمسه بيديه..

سار رويداً رويداً إلى حيث لا يعلم..

نظر تحت أقدامه.. ولكنه لذهوله.. لم يجد شيئا.. أى شيء يسير عليه ولكنه كان يسير لذا.. لم يكترث كثيرا..

كل ما فعله أنه غاص داخل نفسه شاعرا بهلع شديد..

كان يريد أن يختفي من هذا المكان الذي كل شيء قد اختفى فيه ولم يتبقى سواه..

ظل سائرا حتى وجد كائن أبيض في ركن ما..

تعجب في نفسه..

لم يكن سر تعجبه الكائن الذي رأه.. بل ما هيأت له نفسه بأن هذا الكائن الذي يراه يقف في ركن على الرغم من أن المكان لا يوجد به أى شيء..

أي شيء على الاطلاق..

ولكنها نفسه كما اعتادها..

تهتم بتحديد التفاصيل والأركان والاتجاهات..

حتى ولو لم توجد من الأساس..

سار نحو هذا الكائن بأرجل من هلام..

كان يفكر أنه مات وانتقل إلى حياة ما بعد الموت..

وكان له كل الحق في هذا التفكير..

***

حينما ارتفع مجدي عن المقعد الذي كان يجلس عليه كان أول ما فكر فيه هو أن يتمسك بمقعده.. لذا وجه كل الهلع والذعر الذي كان يشعر به إلى يديه وانحنى وأمسك بالمقعد..

كان تفكيراً يائساً بالطبع لأن المقعد طار معه وذهب إلى حيث لا يعلم..

تلاشت الفيلا من حوله واختفت ووجد نفسه يطير في مكان غريب جداً لم يستطع حتى أن يصفه.. وفجأة انتهى كل شيء ووجد نفسه بإحدى الغرف الواسعة جالسا على أريكة مريحة..

شعر بدهشة شديدة تعتريه وساءل نفسه "ما هذا المكان؟"

لم يعلم حقا لذا قام وأخذ يتجول في أنحاء المكان الذي لم يكن سوى شقة تحتوي على أربعة حجرات متوسطة الحجم وشرفة واسعة جداً..

بهر بهذه الشقة التى تعد قصراً اذا ما قورنت بالشقة التي يقطن بها..

هنا سمع صوتا يأتي من خلفه يقول:

- ما الذي أتي بك إلى هنا؟!

قالها الصوت في دهشة شديدة شعر معها مجدي بالتوجس الشديد ولم يدرى ماذا يفعل..

***

سار مدحت نحو الكائن الذى رأه..

اقترب والهلع يتملكه..

كان كائنا يشبه البشر في التكوين الخارجي..

نفس التقاسيم الخارجية وان كان مبهم الملامح جدا.

كان كأنه شبح يقف وينظر إليه..

تذكر مدحت حينما اقترب منه الأشباح كما صورتها السينما عبارة عن هالة شفافة تشبه صاحبها ابان حياته تمام الشبه.. كان هذا مايراه بالضبط مع فرق بسيط.. أن مايراه أمامه مبهم الملامح بشكل غريب لا تستطيع معه أن تحدد ما هو شكله بالضبط..

كان هناك توجس يتصاعد في عنف داخل مدحت من أنه قد مات وأنتقل إلى حياة ما بعد الموت.. إلا أنه أخرج جميع الأفكار من رأسه وسأل الكائن الذي يراه أمامه قائلا:

- أين أنا؟

لم يجبه الكائن وان لاحظ أنه ابتسم..

لم يدري كيف فعلها وهو لا تظهر له اية ملامح واضحة ولكنه أحس أنه ابتسم..

لذا ابتسم مدحت هو الأخر ولم يعلق وإن ظن أنه ليس شراً ولا يشكل عليه خطرا..

لذا وقف جواره ونظر فيما حوله ولدهشته وجد أشياء غريبة تحدث..

***

نظر مجدي إلى مصدر الصوت في هلع وحار فيما يقوله له..

أيصف ما حدث له..

ولكنه بالتأكيد لن يصدقه لذا حاول أن يقول أى شيء على الله يلهمه بما يخرجه من هذه الورطة..

إلا أنه لدهشته شاهد الرجل يتخطاه بنظره إلى شيء أو شخص ما خلفه..

لذا نظر إلى ما ينظر إليه الرجل فوجد شخصاً يقف في الشرفة في ركنها البعيد لم يراه لأول وهلة..

تعجب كثيراً داخل نفسه من عدم رؤيته له وإن تعجب أكثر من تحدث الرجل إلى الشخص الذي خلفه وعدم تعليقه على وجوده الغريب في شرفة منزله..

إن الأمر غريباً جداً ولكنه لا يخرج عن أمرين..

اما إن هذا الرجل يعرفه وإن وجوده في هذه الشقة وجوداً عادياً ولا يثير أية ريبة.. أو..

هنا أصابه الهلع وتحسس جسده في دهشة وتوجس لأن التفسير الثاني كان مرعبا..

مرعبا بحق..

***

نظر مدحت فيما يراه وأمعن النظر بشدة..

لقد وجد طرقا وابنية يعرفها وكأنه يقف خارج منطقة من مناطق الإسكندرية..

وجد المحلات على الجانبين والسينمات ولكن الظلمة كانت تحوط كل شيء ولا يوجد أحد.. أى أحد سواه وذلك الكائن الذي يقف بجانبه ولا يبدي أي حركة..

لذا توجه نحو ما يراه واخذ في السير في الشارع الهاديء يراقب المحال التي كانت لعجبه مفتوحة وتحوي بضائع غاية في الابهار..

ظل سائرا حتى شعر بعطش شديد فنظر للكائن الأبيض الذي كان يتبعه أينما سار وفكر أن يسأله عن مكان يجد به ماء ولكنه تراجع ظنا منه أنه لن يجيبه مثلما فعل قبلا وأن شعر داخله ببهجة خفية..

فما دام يشعر بالرغبة في الشرب أي أنه ظمآن وهذا شعوراً بشرياً يدل على الحياة فهو لم يسمع عن ميت يبحث عن الماء لكي يروي ظمأه..

إلا أن شعوره هذا سرعان ما تغير ليتحول إلى قلق عندما سأل نفسه "وماذا تعرف أنت عن الموت وما بعده؟.. ربما كنت ميتاً بالفعل وما أمر به لا يتعدى أن يكون بدايات ما يحدث فيما بعد الموت.."

أخرجه من أفكاره هذه الكائن الذي يتبعه حين وجده يدخل في أحد المحال ويتوجه نحو مكان بعينه..

فكر أن يتبعه ولكنه تدارك نفسه إذ أنه لا يعلم ما يحويه هذا المكان..

شعر بحيرة شديدة ولم يدري ماذا يفعل بالضبط..

***

كان الاحتمال الثاني غريباً بالفعل ولكنه يفسر العديد من الأشياء كما أنه الأقرب إلى العقل..

كان الإحتمال الثاني هو أن الرجل لا يراه بالفعل وهذا معناه شيئاً واحدا لا غير..

أنه أصبح خفيا..

لذا قام بتحسس جسده فوجده كما هو لم يتغير فيه شيء..

قرص نفسه في ذراعه فاحس بالألم..

اذا هو حي لم يمت..

لم يتحول إلى شبح بعد..

إذن لما لم يراه الرجل؟

أهو أعمى؟

ولكنه لو كان أعمى لما رأى الرجل الأخر الذي لم يره هو في بداية الأمر..

تابع الرجل بنظره وهو يتحدث مع الرجل الأخر الذي يقف في الشرفة في حده..

كان على ما يبدو يتوقع منه عمل شيء ما ولكنه لم يفعله..

دقق النظر في الاثنين ولاحظ تقارب الشبه فيما بينهما ولكن الفارق كان في السن حيث أن أحدهما أكبر من الأخر..

كأب وابنه..

هذا هو القول السديد..

إنه أب يعاتب ابنه على فعلة لم يفعلها..

ولكن مالي أنا وكل هذا وما الذي أتى بي ها هنا؟

سأل مجدي نفسه ولكنه لم يجد جوابا..

***

كانت الحيرة تعصف بعقل مدحت ولكنه حسم أمره سريعا ودخل خلفه..

كان طوال طريقه معه يشعر بالأمان نحوه لذا تعجب من شعوره بالخوف هكذا فجأة..

لذا دخل فوجده يقف بجوار صنبور تتدفق منه المياه..

انقض مدحت على الماء في نشوة..

أخذ يشرب ويشرب وكأنه لم يشرب منذ قرون..

روى عطشه ووقف ينظر إلى الكائن الذي يقف بجواره صامتا..

رأه في هذه اللحظة ملاكا..

وما إن أحس نحوه بذلك حتى اختفى..

شعر بدهشة حقيقية مما حدث..

كيف يختفى هكذا؟

إلا أنه تجاوز ذلك في سرعة..

فكل ما حوله غريبا وعجيبا فلما يندهش لأمر كهذا..

لذا سار في طريقه ولكنه لاحظ شيئا غريبا..

***

سار مجدي إلى داخل الشقة ولكنه لدهشته وجدها أمامه..

كانت كما هي جميلة ورشيقة ومشعة..

على الرغم من أنه لم يراها منذ أكثر من خمس سنوات..

ألا إن شيئا لم يتغير فيها..

ظل للحظة محملقا فيها في بلاهة قبل أن يتذكر كل شيء..

إنها شقتها..

كيف لم يعرف ذلك منذ البداية..

كانت الفتاة التي رأها الأن فتاة كان يحبها ابان المرحلة الثانوية والسنوات الأولى في الجامعة إلا أنه تركها لسبب..

هنا تذكر كل شيء في وضوح..

فتحول اعجابه وانبهاره بها إلى ألم حارق داخل الضلوع..

ود أن يطبق على رقبتها وينهي حياتها..

ولكنه تراجع لأنه لا يعلم إن كان هو نفسه حيا أم أنه جاء إلى هذا البيت كنوع من التعذيب..

كانت هذه الفتاة تمثل أول لطمة في حياته..

أول سقوط لطموحه..

كانت أول وأكبر خيانة صادفها..

تذكر كم أحبها..

ولكم اقنعته أنها تحبه..

ولكن اليوم الذي شاهدها فيه تسير مع غيره كان يوما مظلما لا يذكره إلا وهو محاط باللون الاسود..

يومها سألها من هذا؟ فأجابته بكل صفاقة..

- إنه حبيبى..
- وماذا عني؟؟

نظرت له في سخرية وتركته وسارت وكأنه لا يساوي شيئا..

إنها اسوأ أنواع النساء التي يمكن مقابلتها على الإطلاق..

ذلك النوع الذي لا يحوي ذرة حياء في وجهه..

توقف ونظر حوله ثم ترك الشقة ونزل مهرولا حتى وجد نفسه في شارع مقفر أخذ يجري حتى وجد قطاراً متوقفا فركبه..

وسار به القطار إلى حيث لا يعلم..

***

كان المكان قد تغير فجأة..

ولكن ما يحدث في هذا المكان كان به من المتناقضات والأحداث الغريبة ما جعله يكف عن الاندهاش..

كان هذا الشارع الذي يسير فيه الأن قد اعتاد أن يسير فيه ابان فترة الدراسة الثانوية..

إنه يذكر ذلك بكل وضوح..

ولكنه لم يسير فيه منذ مدة طويلة..

"ما الذي أتى بي ها هنا؟"

سأل نفسه ولكنه تجاوز ذلك وسار في طريقه..

كان وحيداً يحاوطه نفس الظلام الكثيف الذي يكاد أن يلمسه..

منذما جاء إلى هذا المكان وحتى الأن وهذا الظلام لا يريد أن ينقشع..

فجأة وجد أمامه عربة يجرها حمار يسير جواره فلاح تبدو على ملامحه ملامح الفقر المدقع.. وعلى العربة اجولة من الدقيق..

كيف علم أنه دقيق رغم أن الأجولة مقفلة..

لا يدري..

ولكنه متأكد أن هذه الأجولة تحوي دقيقاً..

نظر له الرجل وضحك..

تحول الدقيق على العربة إلى نسرين كبيرين..

كان مدحت قد كف عن الاندهاش منذ فترة..

ولكنه لم يكف عن الهلع..

توقف الرجل واقترب منه واعطاه تذكرتين لركوب القطار..

ثم اختفى بعربته باجولته..

وترك الظلام كثيفا..

تكاد أن تلمسه..

***

سار القطار بمجدي في سرعة..

كان يلاحظ أنه مزدحما بالأفراد وان كان كل في شأنه بشكل غير مألوف.

نظر في أوجه الناس وأمعن النظر..

وجدهم جميعاً غارقين في التفكير يرتسم على ملامحهم الهم وكأنهم متوجهين لهلاكهم..

أصاب مجدي الهلع ونظر إلى خارج القطار..

كان الظلام قد أرخى سدوله فجأة..

ظلام كثيف كثيف خال من النجوم على نحو لم يشهده قبلا..

شعر مجدي بخوف شديد يعتريه..

وزادت حدة خوفه حينما وجد الأفراد داخل القطار يصطفون في صف طويل كان هو خارجه..

لم يدري للحظة أخير هذا أم شر..

هل يجب عليه أن يقف في الصف أم يظل خارجه..

لم تطل به الحيرة حينما وجد الصف يتجه نحو أحد الأبواب ثم يبدأ أول شخص في إلقاء نفسه خارج القطار..

- ما الذى يحدث؟ لماذا تفعلون ذلك؟

صرخ بها مجدي ولكن أحداً لم يجبه والصف مستمر في التقدم والأفراد مستمرون في القفز خارج القطار..

نظر من النافذة وجد أن من يقفز تجذبه عجلات القطار ويسحق أسفل القطار..

- ما هذا الذي يحدث؟

صرخ مرة أخرى..

ولكنه للمرة الثانية لم يجد من يجبه..

كان الصف مستمر في التحرك وفجأة وجد من يدفعه ويدخله داخل الصف..

شعر أن قدميه تكادان لا تحملانه..

اقترب الباب منه في شدة..

ولم يدري ماذا يفعل..

***

نظر مدحت إلى التذكرتين الذي يحملهما في يده وشعر بدهشة ربما لأول مرة منذ فترة..

"لماذا تذكرتان وليس واحدة؟"

سأل نفسه ولكنه لم يجد تفسيرا لذا سار في طريقه حائرا..

ولكن حيرته ما لبثت أن توجهت وجهة أخرى حين وجد محطة للقطار أمامه عليها مجموعة من الأفراد يقفون في هدوء في انتظار قدوم القطار..

شعر فجأة بالبهجة..

"اخيرا"

قالها في نفسه ثم هرول نحو رصيف المحطة..

كان يريد أن يتحدث مع أى أحد ليشعر بوجوده على الأقل..

ليشعر أنه ما زال حيا لم يمت..

ولكنه لدهشته وجد أن المحطة ذات تركيب غريب..

كان الأفراد يقفون على الرصيف وكأنهم نائمين..

لا يتحركون..

ينظرون في الفراغ وكأنهم تماثيل..

أصنام..

- ما الذي يحدث؟

سأل نفسه في دهشة ثم لمح قطاراً أتيا على بعد..

قرر أن يركبه عله يخرجه من هنا..

كان أى مكان في نظره أفضل من هذا المكان الغريب..

ولكنه حينما نظر إلى القطار أحس أنه يطارده..

نعم..

لقد كانت القضبان تتحرك..

لم يعلم كيف..

ولكنها كانت تتحرك..

صعدت فوق رصيف المحطة وسارت بجواره..

لولا أنه التصق بالحائط في ركن من أركان المحطة لكانت طالته..

كان القطار يقترب في شدة..

ولم يظهر أى شيء على وجوه الأشخاص المتوقفين على الرصيف في انتظاره..

وفجأة نظروا له..

ما إن نظروا له حتى شعر مدحت بالتوجس وزاد هذا التوجس حتى تحول إلى رعب قاتل حينما بدأوا في الضحك ضحكا مقيتا يوحي بنصيبة قادمة..

وكان القطار مازال يقترب..

***

كان الصف سائرا حاملا معه مجدي إلى حتفه..

ولم يدري ماذا يفعل..

نظر خلفه فوجد أشخاصا أخرين..

كانوا يتوافدون من باقي عربات القطار وكأنهم منومين مغناطيسيا..

يقتربون ويتراصون في صف طويل..

خرج مجدي من مكانه وهرول إلى أخر الصف الذي يبدو أن له نهاية..

كان الصف مستمر في التقدم حاملا معه الموت مع كل شخص يقفز..

شعر مجدي أن أحد الأشخاص يهرول خلفه..

ايقن في نفسه أنه من قام بدفعه إلى داخل الصف فشعر بفزع شديد كاد يسقط على أثره مغشياً عليه إلا أنه تماسك وأخذ يهرول..

لم يجرؤ حتى على أن ينظر خلفه ليرى من يطارده..

ولكنه كان يسمع وقع أقدامه..

كان يسمع صوت لهاثه..

أخذ يجري ويجري حتى وصل إلى نهاية القطار..

وقف للحظة حائرا ولم يدري ماذا يفعل..

استند بظهره إلى جدار القطار الخلفي وواجه من يلاحقه..

كان يظن أنه ملاك الموت يلاحقه كي ينهي حياته، ولكنه ما كان يحتاج لكل هذا الفزع ولا كل هذه المناورات لذا توقف ونظر لملاحقه في خوف..

وسلم أمره إلى الله..

***

شعر مدحت أنه مسمر في الأرض..

ظن في البداية أن ذلك بسبب الخوف ولكنه عندما حاول تحريك قدمه وجدها مثبته في الأرض بالفعل وكأنها قد زرعت فيها..

شعر برعب شديد..

كان القطار يقترب..

وكان الأشخاص على رصيف المحطة مستمرين في الضحك..

وكان الموت على الابواب..

هنا أتخذ مدحت قراره..

أنه يريد أن يحيا..

أنه لا يريد أن يموت الأن..

على الرغم من أنه لا يدري حقا إن كان حيا أم ميتا لكنه يعلم أنه لا يريد أن يموت بهذه الطريقة..

لا يريد أن يتعرض لهذا الاذى..

لذا حاول تحريك قدمه..

حاول..

وحاول..

وفي النهاية شعر بأنها تتحرك معه..

سار في البداية وكأنه مصاب بشلل ولكنه كان يجر قدمه محاولا أن يبتعد عن طريق القطار..

كان القطار ما زال يقترب..

كان في البداية يراه مجرد ضوء بعيد لا يبدد الظلمة إلا بقدر ضئيل..

أصبح الأن يرى مقدمته في وضوح..

شعر أن له أنياب تريد أن تنقض عليه وتلتهمه..

نظر للقطار متوجسا..

وأخذ في جر نفسه ثم قفز..

قفز قفزة لم يتوقع أن في نفسه القدرة لكي يفعلها..

ولكنه قفز..

وجد نفسه يقف بين مسرى القطارين..

نظر إلى القطار وجده يقترب ولكنه كان خارج نطاقه..

تنفس في عمق وشعر بالارتياح..

إلا أن ارتياحه هذا سرعان ما تحول إلى هلع كبير حينما سمع صوت صفير يأتي من خلفه..

كان هناك قطارا يأتى على القضيب الأخر..

وكان هو واقفا بين القطارين..

وكانت المساحة التي يقف بها ضيقة حتى أنه شعر أن القطارين سوف يحتكان ببعضهما حينما يمران بجواره..

مما يؤدي إلى سحقه..

نظر أمامه فوجد القطار يقترب..

نظر خلفه فوجد القطار يقترب..

شعر أنه ميت لا محالة..

***

كان مجدي يشعر بخوف قاتل يسري في عروقه وكأن دمه قد تحول إلى خوف وهلع وشعر برجفة تعتري جسده كله..

نظر في وجه من يتابعه وجده شخصا مثله لا يختلف عنه في شيء..

شعر بالدهشة للحظة لكل هذا الخوف الذي يشعر به لذا حاول أن يضربه..

رفع يده وسدد له لكمة أودع فيها كل قوته..

ارتطمت يده بفك ملاحقه ولكن لدهشته الشديدة أحس بأن قبضته وكأنها قد تهشمت بينما لم يحدث شيئا للرجل الذى يلاحقه..

هنا عاد الخوف والهلع إلى مجدي في أقصى صوره وتوقع أن الرجل سوف يرد عليه بما لا يستطيع أن يتحمله..

ولكن ما حدث فاق كل توقعاته..

لقد جذبه الرجل وأدخله في الصف ثم تركه وعاد مرة أخرى إلى موقعه القديم..

هكذا وبكل بساطة.

وكأن كل ما يعنيه هو انتظام الصف..

صف الموت..

شعر بتوجس شديد يعتريه..

نظر خلفه فلم يجد أحدا..

كان مجدي هو أخر فرد في الصف..

كان الصف يسير ويسير..

وكان مجدي يقترب ويقترب..

ولم يعد بينه وبين الموت حائل..

***

لم يكن أمام مدحت أى شيء يمكن أن يفعله سوى شيء واحد إن لم يفعله فهو هالك لا محالة..

كان عليه أن يقفز ليبتعد عن مسرى القطار الأخر..

ولكن قضبان القطار كانت تسير بجوار حيز ضيق جدا يحتاج إلى مهارة فائقة للثبات عليه بعد اجراء القفزة..

كما أن ما خلفه لم يكن واضحا..

ولكن مدحت أتخذ القرار وقفز..

كان الجزء الذي قفز عليه ضيقا جداً إلا أنه بذل كل جهده ليقف عليه..

نظر أمامه وجد صحراء ممتدة..

كان الحيز الذي يقف عليه عبارة عن جدار طويل جداً أسفله ما يشبه الهاوية في نهايتها الأرض..

كانت المسافة طويلة جداً بينه وبين الارض إلا أنه لم يملك أن يفعل شيئا..

كان القطاران ما زالا يقتربان ولكن الخطر كان يأتي من جهة أحدهما فقط لذا أتخذ مدحت قراره في سرعة وقفز..

قفز من حالق..

***

كان الصف يقترب من الباب.. ومجدي يقترب معه..

نظر إلى الرجل الذي راعى دخوله في الصف فوجده يقف في أحد الأركان يحدق فيما يحدث دون أن يرمش له جفن..

- لماذا لا يدخل في الصف مثلنا..؟

ساءل مجدي نفسه في دهشة..

- يبدو أنه ملاك الموت كما كنت أتوقع..

قالها ثم نظر أمامه فوجد أن عدد الأشخاص يتناقص في استمرار..

"يبدو أن الطريق فيما خلف القطار قد أصبح مليئا بالاشلاء والدماء"

هكذا قال لنفسه قبل أن ينظر للأشخاص الذين أمامه فوجدهم لا يتعدوا الثمانية أفراد..

شعر برجفة تسري في عروقه ثم قفز أحدهم..

اصبحوا سبعة الأن..

شعر أن الرجفة في داخله تتحول إلى ما يشبه الزلزال حتى أنه لم يعد يدري القفز من القطار أهون أم الاستمرار على هذا النحو..

كان الافراد مستمرين في القفز وكأنهم مظليين يقفزون من طائرة.. مع الفارق بالطبع..

فالمظلى يهبط وعلى ظهره مظلة تأمنه طوال طريقه إلى الأرض..

أما من يقفز من هذا القطار الملعون فهو ذاهب إلى حتفه بلا مواربة ولا سبيل للنجاة ..

أصبح الأن أمامه ثلاثة افراد فقط ..

ولعجبه قفزوا جميعا في آن واحد وكأنهم ذاهبون إلى الجنة..

- ما سر هذه العجلة بالله عليكم ؟ .. الا تنتظرون قليلا ؟؟

صرخ بها في هلع قبل أن يقف بجوار الباب وينتظر إلى الارض التي تنطوي في سرعة ..

كان هذا قاسيا ..

قاسيا بشدة ..

***

ما ان قفز مدحت حتى شعر انه ميتا لا محالة الا انه ولدهشته وجد نفسه يقف على الارض فى لمح البصر ..

اصابته الدهشة الشديدة حتى انه لم يستطيع التحكم فى توازنه فوقع على ركبيتيه واستند بيديه على الارض ..

وقف ونظر الى اعلى فوجد ان الحيز الذى قفز منه الى الارض لا يتعدى فى الطول متر ونصف المتر ..

شعر بحيرة شديدة لانه عندما نظر الى الارض وهو يقف عليه كان كأنه ينظر اليها من فوق جبل شاهق الارتفاع ..

قام من سقطته ونظف ملابسه ولاحظ وجود نقاط من الدم فوق ركبتيه مما يعنى انه قد جرح من جراء هذه السقطة الا انه لم يكترث لهذا ..

سار فى الصحراء الممتدة امامه فى الظلام الذى يحيط به وهو يكاد لا يرى لولا وجود بقعة ضئيلة من الضوء تنير له خطاه ولا يدرى من اين تأتى ..

ظل سائرا ثم لاحظ بيتا امام عينيه تحيط به دائرة ضبابية سوداء ..

وضع نظره على البيت وتذكره ..

انه بيت احد اقاربه لم يقم بزيارته منذ الكثير من الوقت ..

اقترب منه الا انه تراجع فى اخر لحظة ..

كانت الدائرة التى تحيط بالبيت لا تبشر بالخير لذا توقف فى مكانه وهو يسأل نفسه ماذا يفعل ؟

نظر الى شرفات البيت فوجد قريبه يقف فى احداها وهو يحيط يده بجبيرة ..

لم يذكر مدحت انه سمع انه اصيب بأى كسر فى وقت قريب ولكنه لم يكترث ..

ترك البيت خلفه وسار الى الصحراء المحيطة به ..

كان مكان البيت غريبا فهو فى حى مزدحم بالسكان ولا يمكن ان يتحول هكذا الى صحراء بلقع كهذه ، ولكن الامر لم يكن يدعو الى ايه دهشة ..

فمنذ البداية وجميع الامور تسير على غير المعتاد لها ..

سار مدحت فى طريقه ولمح جبلا امامه غريب الشكل ..

كانت حدة الظلام قد بدأت فى الخفوت بشكل ملفت حتى انه لاحظ تلون السماء فيما خلف الجبل بما يوحى بشروق قريب للشمس ..

شعر براحة فى داخله وتوجه نحو الشمس التى احس انها سوف تشكل له طريق الخلاص ولو حتى من هذا الظلام الدامس ..

خطا بضع خطوات ثم توقف حينما سمع صوتا مألوفا يأتى من خلفه ..

***

نظر مجدى الى الارض فى هلع ثم نظر الى الرجل الواقف بجواره والذى كان ينظر اليه فى جمود وان كانت نظراته تحسه على اتمام الامر ..

تراجع بظهره قليلا الى الخلف فتحرك الرجل تجاهه ..

شعر مجدى بقلبه يكاد يتوقف من فرط الخوف ..

ازدادت نظرات الرجل حدة وسمعه لاول مرة يقول :

- اقفز ..

فنظر له مجدى ولم يحر جوابا ..

انتظره الرجل قليلا ثم قام بدفعه من الباب ..

احس مجدى انه قد توفى بالفعل اثر هذه الدفعة ونظر اسفله الى الارض عله يجد شيئا يتشبث به حتى لا يسحب اسفل عجلات القطار ولكنه لدهشته وجد نفسه يرقد على رصيف لمحطة لا يدرى من اين اتت والقطار يبتعد فى سرعة ..

قام من رقدته ونفض الغبار عن ملابسه وهو فى اشد حالات الدهشة ..

لم يفكر كثيرا فى هذا الامر وسار مبتعدا عن هذا المكان فوجد نفسه فى صحراء لم يراها قبلا ..

ظل سائرا حتى وجد شخصا يسير امامه ..

دقق النظر ..

لا يمكن ان يكون هو ..

هكذا قال لنفسه ثم قام بالنداء باسمه بأعلى صوت يملكه .. فالتفت الشخص خلفه ليرى من يقوم بالنداء عليه فى هذه الصحراء ..

هنا ..

وهنا فقط ..

تأكد انه هو ..

كان هذا الشخص هو مدحت ....

***

ما ان رأى مدحت مجدى حتى هرول نحوه واحتضنه وهو يقول فى لهفة :

- اين كنت ؟
- لا أعلم ؟!

قالها مجدى فى صدق قبل ان يتلفت حوله ويقول :

- اين نحن ؟ .. وكيف نخرج من هنا ؟؟

فقال مدحت :

- لا اعلم .. ولكنى اسير نحو الشمس ..

نظر له مجدى فى دهشة قبل ان يقول :

- واين هى الشمس فى هذا الظلام المحيط بنا ؟!

فأشار مدحت بيده تجاه الجبل المقابل لهم فلاحظ مجدى ما لاحظه مدحت فى البداية فشعر بابتهاج شديد وسارا معا ..

هنا سمعا صوت ينادى بالاذان ..

" الله أكبر .. الله أكبر "

فشعرا بالراحة تسرى فى كيانهم ثم لاحظا ظهور الشمس من خلف الجبل تبدد الظلام وتنشر الضوء ..

شعرا بأن كل شيء فى سبيله الى الحل ..

هنا ..

احسا بأنهما يتحللا ويتركان المكان خلفهم ..

اختفى كل شيء ..

ووجدا نفسيهما راقدين على عشب اخضر فى مكان لم يدريا ما هو ولا أين هو لأول وهلة ...

(٢)

العودة

نظر مدحت فيما حوله فى دهشة ثم وقف مكانه بينما ظل مجدى راقدا على الارض وان وضع يده على رأسه فقد كان يشعر بصداع شديد يكتسح كيانه كله ..

قال مدحت :

- اين نحن بالضبط ؟

قام مجدى من رقدته وجلس فى مكانه واخذ فى النظر فيما حوله قبل ان يلمح شيئا يعرفه بشدة فتوقف عنده بنظره وهو يقول :

- اليست هذه هى الفيلا ؟

نظر مدحت الى المكان الذى ينظر اليه مجدى ثم قال :

- نعم .. انها هى .. ولكن كيف جئنا الى هنا ؟

شعر ان سؤاله هذا ساذج جدا بمجرد ما ان القاه ولكن مجدى لم يعلق عليه اذ قام من مكانه وتوجه نحو الفيلا وهو يسأل ..

- كم الساعة الأن ؟

نظر مدحت فى ساعته فوجد انها تشير الى الثالثة والنصف وسبع دقائق..

دقق النظر فى الساعة ليتأكد من انه يقرأها قراءة صحيحة قبل ان يذكر ما قرأه لمجدى الذى توقف فى مكانه ونظر اليه قبل ان يقول :

- اذن ارهف سمعك جيدا ..

نظر له مدحت فى دهشة قبل ان يسمع ما يتوقع مجدى سماعه ..

سمع صوت الاذان يأتى من بعيد ..

" الله أكبر .. الله أكبر "

هنا قال مجدى :

- حسنا لنمضى من هنا ام انك ما زلت تصر على المكوث ..
- ولكن ما الذى حدث لنا بالضبط .. هل كنا نحلم ؟

نظر له مجدى فى تانيب ظاهر وهو يقول :

- وهل هذا هو وقت التحدث فى هذا الأمر ؟ .. انى اريد ان ارحل من هنا ..

قال مجدى ذلك وهو يسير مبتعدا فتبعه مدحت وهو يقول :

- وماذا عن اشيائنا بالداخل ؟

قال مجدى :

- لنأتى صباحا لنأخذها .. او اتركها انها لا تعنى شيئا ..

تبعه مدحت دون ان يضيف كلمة اخرى لانه كان يشعر ان معه كل الحق ..

***

الجزء الرابع

(النهاية)

جلس مدحت على الاريكة فى بهو منزله بينما جلس مجدى على احد المقاعد ساهما ..

كانت الساعة حوالى الخامسة من صباح ذلك اليوم الذى لا يدرون حقا ما الذى يخبأه لهم فى طياته اكثر مما شاهدوا بالفعل ..

فمنذ بداية هذا اليوم والاحداث تتوالى وتتوالى بشكل لم يسبق لهم ان رأوه من قبل ..

فى خمس ساعات وحسب رأوا ما لم يروه او يتوقعوا حتى ان يروه فى عمرهم كله ، وما زالا حتى الأن فى حالة صدمة من الأحداث الاخيرة التى مرا بها دون ان يعلما احدثت فعلا ام كانت مجرد حلم ..

او هلوسة ..

او .. او ..

لم يدريا حقا ..

قام مدحت من مجلسه فقال مجدى :

- الى اين انت ذاهب الأن ؟

كان يتكلم فى توجس شديد مما اثار انتباه مدحت وجعله يقول :

- ما بك .. ما كل هذا التوجس اننا فى بيتى الأن ولا شيء يدعو لكل هذا التوجس والذعر .. ولكى تهدأ انى ذاهب لكى اتوضأ ..
- اتنوى ان تصلى ؟
- اكيد .. وماذا فى هذا ؟
- اذن خذنى معك ..

قال مجدى ذلك ثم قام من مقعده فى همة وتوجه خلف مدحت وهو يملك يقينا ان هذا هو السبيل الوحيد للخلاص مما يشعر به .....

بعد ان اقاما صلاتهما جلسا مرة اخرى فى نفس اماكنهم السابقة ومجدى يقول :

- والأن .. اريد ان اعرف ما الذى حدث بالضبط ..

نظر له مدحت فى دهشة شديدة وهو يفكر : " ما هذه الثقة التى يتحدث بها وكأنه موقن فى داخله اننى اعلم كل شيء ؟ "

كان هذا يرضي شيئا فى داخله الا انه قال :

- وما الذى يدرينى لقد دخلت .....

هنا توقف وقال لمجدى :

- حينما دخلنا فى هذه الدوامة .....

ثم سكت مرة اخرى قبل ان يستكمل حديثه قائلا :

- حينما دخلنا فى هذه الدوامة وارتقعنا من مقاعدنا ....

سكت مرة اخرى ومجدى يتابعه فى دهشة قبل ان يستكمل قائلا :

- اكانت دوامة ام باب على .....

سكت مرة اخرى وارتسمت الحيرة على وجهه ومجدى يتابعه فى حيرة مماثلة قبل ان يضيف مدحت :

- على ماذا ؟ ..... حينما حدث ما حدث ما الذى حدث لك بالضبط ؟

كان يتكلم بشكل غريب جدا نظرا لانه كان يفكر فى اكثر من اتجاه فى وقت واحد ولكن مجدى لم يكترث لذلك واخذ يروى ما حدث له حتى انتهى منه فحكى مدحت بدوره ما حدث له بالكامل قبل ان يقول :

- الغريب فى الامر اننا التقينا سويا داخل احلام كل منا وسمعنا صوت الاذان ورأينا الشمس تشرق من وراء الجبل أهذا له تفسير ؟

نظر له مجدى ولم يحر جوابا فأضاف مدحت :

- هذا امر غريب حقا ...

ثم قال :

- المهم الأن ان ننام فانى اشعر انى لم انم منذ قرون ..
- الحق معك .. افضل شيء يمكننا ان نفعله الأن هو ان ننام ..

قالها مجدى وهو يتمطى فذهب مدحت الى الغرفة الداخلية واحضر منامة لمجدى الذى تناولها منه وبدل ثيابه على عجل ثم استلقى على الاريكة وذهب فى نوم عميق بينما استلقى مدحت على فراشه وهو يفكر :

أكان ما مرا به حلم حقا ؟

وظل سؤاله معلقا لا يجد اجابة

***

حينما صحيا كان الوقت قبيل العصر فقاما واغتسلا وارتديا ملابسهما ثم قال مجدى :

- والأن سوف اذهب الى بيتى ..

فنظر له مدحت فى دهشة قبل ان يقول :

- أهذا وقته ؟

لم يستوعب مجدى سر دهشة مدحت فاسترسل مدحت قائلا :

- ان علينا اولا أن نعود الى الفيلا لنرى ماذا فعل العمال فى غيابنا..
- ابعد كل ما حدث ؟

سأله مجدى فى دهشة متوجسة فقال له مدحت :

- بالتأكيد انه عملنا ....

كان اصرار مدحت على اداء ما عليه من واجبات يثير اعجاب مجدى بشدة الا ان هذا الامر يختلف فهذه الفيلا بالذات وبعد كل ما شاهداه فيها لا يمكن التعامل معها بالمنطق ولا بالعقل بل يجب الابتعاد عنها باى وسيلة ممكنة وهذا ما قاله لمدحت الذى اصر على موقفه وفتح الباب ومضى فلم يكن من مجدى الا ان تبعه حتى وصلا الى الفيلا التى بمجرد ما ان رأها مجدى حتى اصابه التوجس بشدة وقال :

- اتصر على الدخول ؟

نظر له مدحت بنظرة خاوية قبل ان يقول :

- الم نناقش هذا مسبقا ؟

قال ذلك ثم توجه الى باب الفيلا فوجده لدهشته مغلقا فنظر الى مجدى وكأنه يستفتيه فوجد مجدى فى دهشة لا تقل عن دهشته ..

كانا قد تعودا على ترك باب الفيلا مفتوحا اثناء العمل وذلك تسهيلا للاعمال حيث ان العمال كثيرا ما كانوا ينقلون نواتج التكسير الى الخارج او ينقلون مواد البناء الى الداخل .. وهكذا ...

لذا اصار عجبهما ان الباب مغلقا بشكل لم يتعوداه قبلا ...

لذا اخرج مدحت مفتاح الفيلا من جيبه وقام بفتح الباب ثم دخل ....

كان يشعر برهبة شديدة تعتريه الا ان هذا لم يمنعه من الدخول ولكنه لم يجد احدا فى الفيلا ...

اى احد .....

***

- اين ذهب العمال ؟

قالها مجدى فى دهشة فنظر اليه مدحت بنفس نظراته الخاوية قبل ان يقول بصوت ثابت ..

- لا أعرف ولا أريد أن أعرف...

ثم خرج واغلق الباب خلفه ..

وكانت هذه هى المرة الأخيرة التى يرى فيها الفيلا .....

***

كان المهندس محمود فى مكتبه يفكر فيما سوف يفعل فى موضوع الفيلا .. فسمع صوت جلبة شديدة تأتى من الخارج لم يعهدها قبلا فخرج من غرفته على عجل ليرى ما يحدث ففوجيء بتجمع كبير من العمال يقفون فى غرفة الاستقبال التابعة لمكتبه والسكرتيرة تحاول بكل وسعها منعهم من الدخول اليه فقال فى دهشة :

- ما الذى يحدث بالضبط ؟

فقال العمال تقريبا فى صوت واحد :

- قل لنا انت ...

لاحظ ان هؤلاء العمال يكادون ان يشتعلوا توترا مما اصابه بالتوجس فقال :

- انتم الذين تعملون فى الفيلا اليس كذلك ؟

فأجابوه بالايجاب ثم انبرى احدهم قائلا :

- اتطلق عليها فيلا .. انها بوابة ابليس .. انها باب لجهنم .. فيلا.. اية فيلا هذه .؟

زاد هذا من توتر المهندس بشدة فقال :

- اهدأوا .. ارجوكم ان تهدأوا وسوف اعوضكم واعطيكم كل الذى تطلبون ..

فقال احدهم :

- نحن لا نريد العمل فى هذه الفيلا مرة اخرى ...

قال ذلك ثم تتابعت اصوات العمال تؤيده فيما قال فأمن المهندس على قولهم وهو يشعر بضرورة معرفة ما الذى رأوه بالضبط ليصيبهم بكل هذا التوجس والرعب ....

***

- يجب ان نذهب للمهندس محمود لنخبره بما حدث ..

قالها مجدى وهو يجلس بجوار مدحت على المقهى فقال مدحت :

- ان هذا المهندس من البداية لم يكن صادقا معنا ..
- ماذا تقصد ؟
- اقصد انه كان يكذب علينا اذ ما الذى يدعو مهندسا يعمل فى مجال البناء الى الاصرار على التعامل معنا نحن بالذات لنعمل فى هذه الفيلا بينما هو يملك كل الامكانيات الفنية والبشرية للقيام بهذا العمل من خلال مكتبه او على الاقل التعامل مع مقاولين اكثر كفاءة منا ..

قال مجدى :

- معك كل الحق .. كيف لم نفكر فى هذا قبلا ؟
- لاننا كنا متلهفين على هذا العمل لدرجة اننا لم نفكر جيدا ..

ثم سكت قليلا قبل ان يضيف :

- ثم ما حكاية هذه المكتبة الموجودة فى الفيلا ؟
- ما حكاية المكتبة ؟

سأله مجدى فى ترقب لما سوف يقوله فقال مدحت :

- اليس غريبا ان يترك احدهم مكتبة قيمة كهذه دون ان يحاول نقلها الى الخارج ؟ .. ثم كيف يترك صاحب الفيلا هذه اللوحات التى وجدناها دون ان يحاول اخراجها او ابلاغ المهندس بها الم يكن من الوارد ان يجدها احدهم ..
- ربما هذا ما حدث بالفعل ..

- ما هذا الذى حدث بالفعل ..
- ربما كان المهندس يعلم بوجود المكتبة واللوحات من الاساس ..
- اذن لما لم يرشدنا اليها ويأمرنا بنقلها ؟ .. الم يكن من الوارد ان نعرف مكان الغرفة السرية ولو بالصدفة ونقوم بسرقة اللوحات . .

نظر له مجدى مستغربا قبل ان يقول :

- ما كنا لنفعل ذلك ..
- لكنه امر وارد .. الست معى ؟

نظر له مجدى دون ان يحر جوابا فاضاف مدحت :

- ثم ما حكاية ترك العمال للفيلا ؟ .. لا ريب انهم رأوا شيئا اخافهم بشدة وجعلهم يتركون العمل ..
- اتظن ذلك ؟
- بل انا متأكد من ذلك .. لذا فأنا أرى أن نذهب للمهندس لنصفى معه العمل ..

نظر له مجدى لبرهة قبل ان يقول :

- حسنا ولكن اترك لى الحديث لأحصل على أفضل المكاسب الممكنة فلو اعتمدنا عليك فى هذا الأمر سوف نخرج دون حتى الحصول على اجورنا ..

فقال له مدحت ضاحكا وقال :

- حسنا .. لن نختلف فى هذا ..

ثم ذهبا من فورهما الى المهندس .....

***

توجه مجدى ومدحت الى مكتب المهندس ومجدى يعد فى رأسه العديد من الأفكار التى كان يود ان يتحدث فيها مع المهندس لضمان حقهم حيث انه كان يظن ان المهندس سوف يماطل معهم فى اعطائهم اجرهم خاصة ان الفيلا لم يتم فيها شيئا يذكر سوى تكسير بعض الحوائط ولكنه فوجىء حينما استقبلهما المهندس فى بشاشة وترحاب ودعاهم الى الجلوس وهو يقول :

- اهلا بكم يا سادة .. لقد شرفتم مكتبى المتواضع ..

نظر مدحت فيما حوله وهو يقول لنفسه " اذا كان هذا المكتب متواضع فماذا يوصف البذخ اذن ؟ " الا انه لم يظهر ذلك للرجل بالطبع فيما قال مجدى :

- اهلا بك يا باشمهندس .. لقد جئنا اليك لنتكلم بخصوص العمل ...

فقال له المهندس وهو يقدم له لفافة تبغ من علبة من نوع مستورد غالى الثمن :

- أعلم .. أعلم .. أنا أعلم ما تريد قوله بالضبط بخصوص الفيلا المسكونة والاشباح التى تتلاعب فى الفيلا وتقذف العمال

بالهدم الذى يتساقط نتيجة تكسير الحوائط .. أليس هذا ما تريد الحديث فيه ؟

نظر مجدى لمدحت فى دهشة وهو يمسك اللفافة فى يده وبادله مدحت نظرته بدهشة مماثلة قبل أن ينظر للمهندس الذى قال له :

- تفضل ..

كان يعرض عليه لفافة بدوره فقال مدحت :

- شكرا .. لا أدخن ..
- هذا أفضل بالتاكيد فلكم من مرة حاولت أن أقلع عن التدخين ولكنى لم استطع ، انت لا تدرى كم احسدك على النعمة التى ترفل فيها ..

قالها المهندس وهو يضع اللفافة فى فمه ثم قام باشعال قداحته وقربها من مجدى الذى قرب فمه باللفافة وقام باشعالها ثم قرب المهندس القداحة للفافته واشعلها ثم اخذ رشفة منها اخرجها على هيئة خط من الدخان قبل أن يقول :

- حسنا لأوفر عليكم القول .. لقد قررت أن أعطيكم حقوقكم كاملة مثل جميع العمال فأنتم لا ذنب لكم فى كل ما حدث ولكنى بالطبع سوف أدفع أجر الأيام التى عملتمم فيها وليس كل ما اتفقنا عليه ..

هنا انبرى مجدى قائلا :

- وكل الرعب الذى عشناه فى هذه الفيلا ألا يوجد له أجر لديك؟

نظر له المهندس فى دهشة قبل أن يقول مدحت :

- لماذا نحن ؟

نظر له مجدى بنظرة يحسه فيها على السكوت لم يلاحظها المهندس وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟!

لم يكترث مدحت لنظرة مجدى وهو يقول :

- اقصد لما تخيرتنا من البداية ؟

نظر له المهندس بنظرة طويلة قبل أن يقول :

- لقد كانت لى حسابات خاصة بخصوص هذه الفيلا ولقد تخيرتكم بالذات لنزاهتكم فى العمل ولأن احدا لن يكذبكم اذا ما ذكرتم ما حدث ..

قال مدحت :

- لا أفهم شيئا مما تقول ..

فقال المهندس :

- بصراحة لقد كنت انوى ان اثير رعبكم فى اثناء العمل لكى تتركوه واحصل على الفيلا من صاحبها بثمن زهيد ..

فقال مجدى فى اندفاع :

- اتقصد ان كل ما حدث كان من تدبيرك ؟

نظر له المهندس فى دهشة لم يخرجه منها الا قول مدحت :

- لا أظن ذلك .. انه فوجيء بما حدث مثلنا تماما .. ولكن هذا الأمر يصب فى مصلحته فى النهاية ..
- من قال لك ذلك ؟

كانت هذه من المهندس الذى استرسل قائلا :

- بالعكس .. ان هذا الأمر جعلنى اصرف النظر تماما عن شراء هذه الفيلا بل عن العمل فيها من الأساس ..

فقال مجدى :

- وانا معك .. من اين سوف تجلب لها العمال للعمل بها ؟

ثم سكت قليلا قبل أن يقول :

- المهم الأن أريد أن نتفق على اجرنا ..

فقال المهندس :

- لسوف اعطيكم ما تريدون ولكن لأكون منصفا لن أعطيكم كل الأجر الذى اتفقنا عليه فى البداية فانتم تعلمون ان العمل لم يتم منه الا اقل القليل ولكنى سوف اراعى الاحداث التى حدثت بالاضافة لأجر الأيام التى عملتم فيها ..

كان مجدى يود ان يجادله الا ان مدحت قال :

- حسنا ونحن نوافق على ذلك ..
- ارجو الا تكونا مستائين منى فى النهاية ..

قالها المهندس فى اسف حقيقي فقال مدحت :

- لا .. لا يوجد شيئا من ذلك ..

ثم قام وخرج يتبعه مجدى الذى قال له بمجرد ما خرجا من المكتب :

- اهذا ما اتفقنا عليه ؟؟

فقال مدحت :

- اكنت تريد ان تأخذ اجرا عن عمل لم تقم به ؟
- انت ومثاليتك هذه .. !

قالها مجدى فى حدة قبل ان يقول :

- ثم ما حكاية الاشباح التى تقذف العمال بالحجارة هذه ؟

قال مدحت ضاحكا :

- لا أعلم .. ولا أريد ان أعلم .. المهم الأن أن هذه الأحداث قد انتهت بسلام .. الست معى فى ذلك ؟
- بلى ..

ثم سكت قليلا قبل ان يقول :

- اتظن ان ما مررنا به فى الفيلا كان حلما حقا ؟ .. ولكن كيف نمنا فى مكان وصحونا فى مكان أخر .. أكنا نسير نياما ؟

قال مدحت :

- لا يهم ذلك الأن المهم اننا انتهينا من الامر برمته ..
- اتمنى ان نجد عملا اخر فى القريب ..

فقال مدحت وهو يسير هائما فى الطريق :

- لا تقلق من هذا الأمر فإن ربك لا ينسى احدا ..

كانت هذه هى فصل الختام فى الحديث بينهما ..

وسار كلا منهما هائما فى افكاره ..

تمت بحمد الله

الإسكندرية

٢٠٠٧/٥/٢٠